الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية – أدرار
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تجليات الوصف والثورة في الشعر الجزائري

«ديوان بوّابات النّور لعبد القادر بن القاضي نموذجا»

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه (ل.م.د) في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: الدّراسات الجزائريّة في اللّغة والأدب العربي

إعداد الطّالبة: زينب بوعلاّلة

إشراف: الدكتور عبد الرحمان قاسي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

د. محمد كنتاوي	أستاذ محاضر	جامعة أدرار	رئيسا
د. عبد الرحمان قاسي محمد	أستاذ محاضر	جامعة أدرار	مشرفا ومقررا
د. خليفي عبد الحق	أستاذ محاضر	جامعة أدرار	مناقشا
د. كريمة صمباوي	أستاذ محاضر	جامعة أدرار	مناقشا
د. كمال مجيدي	أستاذ محاضر	جامعة أدرار	مناقشا
د. كمال علوش	أستاذ محاضر	جامعة ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية
1439-1438
2018-2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر أولاً وأخيراً للذي آلاؤه لا تنفد، ونعمه لا تنضب.
كما أوجه عظيم شكري وامتناني لأستاذي الفاضل الدكتور عبد الرحمان قاسي محمد الذي صحبني في هذه الرحلة العلمية، ولم يبخل عليّ بما أوتيَ، من توجيهات ونصائح، ومعارف أنارت لي دربي، وما فتئ يوجّه وينصح، ويرشد ويصحح، لعلّ هذه العمل يقارب الصواب.

﴿وما توفيقيَ إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب﴾.

[هود:88]

مقدمة

أنجبت الجزائر شعراء قدّسوا وطـنـهـم وقـدّمـــوا مـــصلحـته ومحبته على مـا تهـوى أنفسهـم، فاستعانوا بالقـريض لتوصيل أفكارهم وجمعوا بين حب الوطن والثورة على الظلم والعجز والإستكانة، فجاءت قصائدهم تترى متعاقبـة تـدعو إلى عدم الرضـوخ للمستعـمـر ومحاربته بكل الوسائل والطرق، كما كانوا من أكبر المدافعين عن الثوابت الوطنية بتسخير أشعارهم شرارة في وجه المستدمر وثمرة آتت أُكلها بالعمل على توحيد صفوف الثوار وبعث النخوة العربية في أوساطهم.

كما أنها ظلت حافزاً للثوار والشعب حتى لا تذهب ريحهم ويصبحوا شرذمة قليلة في أيدي أعدائهم؛ وما فتئت هذه الأشعار تبعث نوراً وضياء يلمع في سماء الجزائر، فقد تحدث فيها أصحابها عن قوة الجزائري الذي ولدته الحرب وأرضعته وفطمته حتى صار رجلاً يُعوّل عليه في الشدائد والخطوب.

والجزائريون الصادقون لم يخونوا يوماً عهد الوطن ، فالمدفعية شاهد والدّماء أكبر دليل على ذلك؛ وباتحادهم محوا الذلّ والشنار وأرجعوا مجد الوطن والدار ول يكن حملهم للقلم من محض الصدفة ولا من باب التلاعب بالألفاظ أو الكلمات، بل كان لهم هدف أسنى وغاية أسمى في تحقيق النصر والأمل.

كتبوا، أنشدوا، أبدعوا ونار الغربة تكويهم، فحتى من كان يعيش بين أهله فهو غريب، لأن وطنه سليب ناهيك عمَّن فقد الصّديق والحبيب؛ وقد جعلنا الشاعر عبد القادر بن القاضي محلّ البحث والدراسة لأسباب عدة أهمها:

1. عدم إعطائه حقّه من الدراسة بالرغم من أنه قدّم الكثير من أجل الجزائر.
2. أشعاره الموجهة للجمهور فلم يخصص بها طائفة مثقفة أو غيرها.
3. غيرته الشديدة على اللغة العربية ودعوته للتمسك بها والمحافظة عليها.
4. اهتمامه البالغ بالتعليم ودعوته الملحّة لِاحترام المعلّم وإعطائه المكانة اللائقة به.

5. التقليل من شأن الأدب الجزائري ورجالاته ورميه بالضعف دون الرجوع إلى أمّات الكتب سيما الدواوين.

فهل كان الشاعر من صنّاع الثورة؟ ـ وما هي مهمّة الشعر عنده؟ ـ وهل برزت بصمته في حبّه وطنه والدفاع عنه؟ أو هل تجسَّدت الوطنية عنده بكل أبعادها ومراميها؟ وهل تعدت ذلك إلى الوطن العربي؟ وما علاقة الوطن بالثورة عند الشعراء الجزائريين عامة وعبد القادر بن القاضي خاصة؟

ونهدف من خلال هذا كله إلى كشف بعض خبايا الشعراء الجزائريين وإخراجه من دائرة النسيان.

- فتح المجال للباحثين عن شخصية عبد القادر بن القاضي وأمثاله لأن دراسة هذا الديوان ما تزال تنفتح وتتسع كلما تعددّت قراءاته وتنوعت.
- إعطاء المكانة اللائقة للشعراء الجزائريين الذين ما انفكوا يدافعون عن الوطن بأشعارهم ويعانون الغربة بأتمّ معانيها وصورها.

ولمَّا بحثنا عن الدراسات التي تناولت الشيخ عبد القادر بن القاضي وجدناها شحيحة لا توفي بالغرض، ولا تضعه في المكان اللائق به، ومن بين هذه الدراسات: دراسة بعنوان: **«** اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر **»** **(**دراسة تطبيقية**)** للدكتور خليفة بوجادي، وقد حاول صاحب هذا الكتاب إسقاط هذه الدراسة على مدونه **((**بوابات النور**))** لعبد القادر بن القاضي؛ وكذلك رسالة ماجستير بعنوان: **«**بوابات النور لابن القاضي، دراسة في الموضوعات والخصائص**»** لصباح العقون.

وقد اعتمدنا المنهج الوصفي من خلال وصف الديوان وقراءته الشكلية والمضمونية، كما اتخذنا التحليل إجراءً له، ويظهر هذا جليا أثناء تحليلنا لقصائد الديوان؛ سيما الوطنية منها والثورية، وكذا بعض قصائد الشعراء الجزائريين.

أما خطة البحث فتحتوي على: مقدمة وثلاث فصول.وسمنا الفصل الأول بقراءة في المصطلحات والمفاهيم، والفصل الثاني وسمناه بالوطن والثورة وتجلياتهما في الشعر الجزائري، أما الفصل الثالث فكان عنوانه تجليات الوطن والثورة في شعر عبد القادر بن القاضي.

وأنهي البحث بخاتمة أجملنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها خلال رحلتنا العلمية؛ وقد صاحبتنا في رحلتنا العلمية هذه مصادر ومراجع عديدة أهمها: « ديوان بوابات النور »الذي أسقطنا عليه الدراسة، ودواوين أخرى لشعراء جزائريين أمثال: « ديوان اللهب المقدس» لمفدي زكريا، « ديوان شعراء الجزائر »

لمحمد العيد آل خليفة، و« ديوان محمد بلقاسم خمار » و« ديوان ذوب القلوب» لمحمد الشبوكي، وكتاب الشعراء في زمن الحرية للدكتور عبد الله الركيبي، وكتاب الشعر الوطني الجزائري للدكتور أحمد شرفي الرفاعي، وكتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.

ولئن كانت هناك صعوبات، فأكبر عائق هو قلة المراجع التي درست شخصية عبد القادر بن القاضي أو تعرضت لإنتاجه وإبداعاته.

وأخيرا نرجو من الله عزّ وجلّ في علاه التوفيق والسداد في كل دقائق وتفاصيل هذا البحث، فهو المسدد والمعين.

الفصل الأول

أولاً: مفهوم الوطن والثورة لغة واصطلاحا.

مفهوم الوطن لغة

وطن:الوطن: المنزل نقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع الأوطان، ويقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه، وأوطنت الأرض ووطّنتها توطيناً واستوطنتها أي اتخذتها وطناً, أما الموطن فكل مقام قام به الإنسان لأمره فهو موطن له.[1]

والوطن: منزل إقامة الإنسان ومحله، وهو مربط البقر والغنم الذي تأوي إليه مجازاً.[2]

والوطن ج أوطان: ووطن به يطن وأوطن أقام، وأوطنه ووطنه واستوطنه اتخذه وطناً، ومواطن مكة مواقفها، ومن الحرب مشاهدها، وتوطين النفس تمهيدها وتوطينها تمهّدها.[3]

إذن كل هذه التعاريف تصب في قالب واحد أو تأخذ منحى واحد، إذ ترى أن الوطن هو منزل الإقامة أو هو المأوى التي تأوي إليه المخلوقات سواء الإنسان أو الحيوان، تطمئن إليه وتستريح فيه.

مفهوم الوطن اصطلاحاً:

« الوطن هو البلد الذي تسكنه أمه يشعر المرء بارتباطه بها وانتمائه إليها، أو بقعة الأرض التي تولد عليها وتستقر فيها جماعة ما، وتكون هذه البقعة بيئة حاضنة دائما لأفراد الجماعة مستقلين ومجتمعين» [4] .

---

[1] لسان العرب: ابن منظور،المصدر السابق، ج 13، ص 451.

[2] تاج العروس: الزبيدي، دار صادر، بيروت، ط 1306هـ، ج 09، ص 363.

[3] القاموس المحيط: الفيروزابادي، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ج 4، ص 278.

[4] الموقع الإلكتروني: www.nethnabgedu.gov.sa، محرك البحث: Google، يوم 2013/04/03، في الساعة: 11:00 صباحا.

كما عرفه الشريف الجرجاني بقوله « الوطن الأصلي:هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه –وطن الإقامة موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يوماً أو أكثر من غير أن يتخذه مسكناً»[1]

وقد اتخذت لفظة الوطن في العصر الحديث مدلولاً أوسع وأكثر شمولية من مفهومها قديماً، لأن الوطن في نظر القدماء لا يتعدّى الحيّ الذي يسكنون فيه، أو أرض ومواطن القبيلة، ولكن مفهومه في العصر الحديث أصبح أكثر اتساعاً وشمولية لكونه صار دَالاً على مجموعة من المفاهيم المترابطة المتعلّقة بالشعب والسياسة والنظام والثقافة وغيرها؛ هذا لأن المدلول الجديد لكلمة الوطن أصبح مقترناً بالكيان الجغرافي القومي الذي تولد فيه الأمة وتتخذه مستقرّاً دائماً لها وتربط أبناءها تقاليد وعادات ومصالح مشتركة.[2]

اختلفت تعريفات الوطنية عند الباحثين باختلاف المناهج الفكرية لديهم، فمنهم من جعلها عقيدة تحبس عليها الموالاة والعداوة، ومنهم من جعلها تعبيرا عاطفياً وجدانياً يندرج تحت إطار العقيدة الإسلامية ويتفاعل معها[3].

ومن جملة التعاريف:

1 تقديس الوطن حيث يصير الحب فيه، والبغض لأجله، والقتال في سبيله.

2 العاطفة التي تعبر عن ولاء الإنسان لبلدة.

3 انتماء الإنسان إلى دولة معينة يحمل جنسيتها ويدين بالولاء لها.

4 تعبير عن واجب الإنسان نحو وطنه.

5 الوطنية تعبير قومي يعي حب الشخص وإخلاصه لوطنه.

---

[1] التعريفات، الشريف الجرجاني، اعتنى به: مصطفى أبو يعقوب، مكتبة لبنان، ط1985، ص 273.

[2] ينظر: تجليات الحس الوطني في الشعر الشعبي منطقة بوسعادة أنموذجاً: عبد الله دحية، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، ص 19.

[3] الموقع الإلكتروني: www.nethnabgedu.gov.sa، محرك البحث: Google، يوم 2013/04/03، في الساعة: 11:00 صباحا.

6 قيام الفرد بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام.

والوطنية بهذا التحديد الطبيعي شيء غير مستغرب، وهذه هي السعادة بالعيش في الوطن سيطرة الكآبة لتركه، كل ذلك مشاعر إنسانية لا غبار عليها ولا اعتراض، ومهما اضطر الإنسان إلى ترك وطنه فإن حنين الرجوع إليه يبقى معلقاً في ذاكرته لا يفارقه.[1]

كما عرَّفها محمد صادق عفيفي بقوله: « الوطنية حبّ هذا الوطن والشعور نحوه بارتباط روحي» [2]

ويمكن أن تعوّض الوطنية بالقومية إلا أن القومية تحتوي على نزعة استبدادية وليس لها هذا التعلق بالأرض، وبكل ما تحتوي عليه، أمّا الوطنية فهي فلسفة تحريرية وتحرّرية مهمّتها الدفاع والكفاح ضد المستعمر والاستغلال والتخلف، وفكرة القومية ظهرت في القرن التاسع عشر في أوروبا وتجلّت عندنا عملياً في مقاومة الأمير عبد القادر ضدّ الاحتلال.[3]

لكن أحمد بن نعمان يرى أن الوطنية هي القومية، حيث يقول : « وطنية أو قومية نسبة إلى الوطن أو إلى الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته » [4]

وقد أصبحت الوطنية في العصر الحديث تعني عند البعض حبّ الوطن والشعور بارتباط باطني اتجاهه بينما يرى البعض الآخر بأن هذا المعنى حديث عند المسلمين وأن أوّل من دعا إلى الوطنية بهذا المفهوم الشيخ رفاعة الطهطاوي (1801- 1873م) إلا أن مصطفى كامل هو الذي أضفى عليها نوعاً من القداسة، والحقّ أن هذا الأخير قد ارتبط اسمه عند العرب بمفهوم الوطنية فهو الذي أعطى لهذه اللفظة أبعادها الفكرية والسياسية

---

[1] الموقع الإلكتروني السابق: www.nethnabgedu.gov.sa

[2] الاتجاهات الوطنية الشعر الليبي: محمد صادق عفيفي، دار الكشاف للنشر والتوزيع، بيروت، القاهرة، بغداد، 1996، ص 09.

[3] السيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر، (د.ت)، ص 11.

[4] الهوية الوطنية، الحقائق والمغالط: أحمد بن نعمان، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ت)، ص 23.

حيث أمسك بزمام الأمور القيادية بمصر في وقت بسط فيه المستعمر الأجنبي نفوذه عليها فكان الخطيب الذي نفخ الروح الوطنية في نفوس الجماهير وأشعل لهيب الثورة فيها لأن الوطنية في نظره هي أشرف الرّوابط للأفراد والأساس المتين الذي تبنى عليه الدول القوية.[1]

« والمواطنة هي المشاركة بالعضوية الكاملة في دولة لها حدود إقليمية، ويتضمن المصطلح في طياته أساسا شاملاً؛ فالمواطنون هم إما جميع البالغين وإما بعض الفئات العامة منهم (الذكور أو أصحاب الملكية) والمصطلح في أغلبه مفهوم غربي نشأ في اليونان وروما، وجرى استخدامه بشكل هائل في المجتمعات الرأسمالية في القرنين التاسع عشر والعشرين » [2]

« **والوطنية Patriotisme:** شعور بحبّ الوطن يعبر عنه في الأدب أحياناً نثراً أو نظماً، ويتضمن ما تحتويه نفس الشاعر أو الكاتب من مقدار إخلاصه لوطنه، كما ينطوي على حثّ القارئ على المشاركة في هذا الشعور » [3] إذن الإنسان لا يتجزّأ من وطنه، حتى تسمية موطناً لا بُدَّ أن يكون عنصراً فعَّالاً فيه.

ومحبَّة الأوطان فطرة جبل عليها الإنسان، وغريزة أودعها الله في النفوس، فإن ابتعدت عنه وتغرّبت حنّت إليه، وإن هوجم دافعت عنه، فهذا هو معنى الوطنيةّ أو القومية سواء اختلفت المصطلحات أو تشابهت.

---

[1] ينظر: اتحاد الكتاب الجزائريين، الأدباء الشهداء، وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 142.

[2] موسوعة العلوم الاجتماعية، تحرير: ميشل مان، نقلها إلى العربية: عادل مختار الهواري و سعد مصلوح، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 110.

[3] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، (د.ت)، ص 435.

3ـ مفهوم الثورة لغة:

«ثور: ثار الشيء، ثوراً وثؤوراً وثوراناً وتثوَّر: هاج».

وأثرته وهثرته على البدل وثوّرته، وثورُ الغضب: جدّته.

والثائر: الغضبان، ويقال للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائره وفار فائره إذا غضب وهاج غضبه...ويقال: انتظر حتى تسكن هذه الثورة، وهي الهيج. وثار الدخان والغبار وغيرهما يثور ثوراً وثوراناً: ظهر وسطع. ويقال ثارت نفسه إذا جشأت وإن شئت جاشت؛ قال أبو منصور: جشأت: أي ارتفعت.

وفي الحديث: فرأيت الماء يثور من بين أصابعه أي ينبع بقوة وشدّة، والحديث الآخر: بل هي حُمّى تثور أو تفور.

وأثرت السّبع والصَّيد إذا هجته. وأثرت فلاناً إذا هيَّجته لأمر؛ واستثرت الصَّيد إذا أثرته أيضاً وثوّر القرآن: بحث عن معانيه وعن علمه»[1]

« وثار الغبار يثور ثوراً وثوراناً: أي سطع وأثاره غير....، وثار به النّاس، أي وثبوا عليه. وثوّر فلان عليهم الشرّ، أي هيّجه وأظهره، وثوّر القرآن، أي بحث عن علمه، وثار ثائره، أي هاج غضبه»[2]

« ثور: الثاء والواو والرّاء أصلان قد يمكن الجمع بينهما بأدنى نظر، وثارت الحِصّة تثور وثاورن فلان فلاناً، إذا واثبه، كأنّه كلَّ واحد منهما ثار إلى صاحبه، وثوَّر فلان على فلان شرّاً إذا أظهره»[3]

---

[1] لسان العرب: ابن منظور (المصدر السابق)، 108/14- 110.

[2] الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط 01، 1376هـ - 1979م، بيروت، 02/ 606.

[3] معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 01، 1411هـ - 1991م، 395/01.

« (الثور والهيجان) ثار الشيء هاج ويقال للغضبان أهيج ما يكون قد ثار ثائره وفار فائره إذا هاج غضبه. الثور (الوثب) وقد ثار إليه إذا وثب وثار به الناس أي وثبوا عليه والثور (السطوع) وثار الغبار سطع وظهر وكذا الدخان وغيرهما وهو مجاز... وثار (الجراد) ثوراً وانثار ظهر والثور (ظهور الدم) يقال ثار به الدم ثوراً (كالثؤر) بالضم»[1]

إذن الثورة من حيث اللغة هي من هيجان والغضب والظّهور، بمعنى أن يثور الإنسان على كل ما يتنافى وأخلاقياته وما تدعو إليه الفطرة النقية السّليمة في شتى مجالات الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، والبحث عن الأفضل والأحسن.

وثورة الحيوان غريزة أودعها الله فيه حتى يدافع عن نفسه أو صغاره أو مأواه.

تعريف الثورة اصطلاحاً:

«الثورة كمضمون تعرف عادة بأنها العمل الشامل لتغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القديمة بأوضاع جديدة ذات طابع تقدمي لفائدة الجماهير».

أو هي «عبارة عن تغيير لنظام قديم وإحلال مكانه نظاماً جديداً».

أو هي «عبارة عن تغير اجتماعي شامل وجذري من أجل وضع أفضل، ويشترط فيه أنْ يكون ناتجاً عن تخطيط وعن إصرار وإيمان بإمكانية النجاح»[2]

إذن الثورة تشمل مجالات الحياة كلها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولكل مجال ثورته الخاصة به وكل مجال يحتاج إلى تغيير السلبيات إلى الإيجابيات وتحسين الأوضاع والبحث عن الأفضل، المهم أن يكون هناك تغيير نحو الأحسن والأفضل، وإحلال الجديد النافع مكان القديم الضَّار.

---

[1] تاج العروس: الزبيدي (المصدر السّابق)، 79/03.

[2] حوار حول الثورة: الجنيدي خليفة، الفكر والإشراف العام: عبد القادر نور، الجزء الأول، موفم للنشر– الجزائر، 2009م، ص 25.

كما أنها: « إرادة تغيير الوضع القائم المتعفّن إلى وضع متناسق مع طبيعة الأشياء، للسير قُدُماً نحو التجديد بطريقة مدروسة محّدة سلفاً، تستمد قوتها من التراث الأصيل ومن مسايرة العصر، وتكون بالتوعية والإقناع، والعنف إن دعت الضرورة، وهي ليست التمرّد أو الانتفاضة العفوية أو العنف للعنف، أو التحكم في مصير البشر باسم الثورة للتسلّط فقط، بل هي دراسة وممارسة، ويجب أن تكون الوسائل المادية والنفسية متوفرة»[1]

للثورة أسس وضوابط تحكمها، وإحداث الثورة أو قيامها يقتضي دراسة الأشياء والتثبت في كل الأمور، وتحضير العُدّة والعتاد، بل العامل النفسي له دور مهم وفعّال، لأنها إن لم تأْخُذْ حقها من الدِّراسة والتمحيص ربّما تودِي بحياة البشر.

إذن الوطن فيه معنى الثباتِ، أما الثورة ففيها معنى استثنائي تُحتِّمه ظروف خاصة، وهي ظروف الإِحتلال أو الظلم (كالثورة على الحاكم أو الرّئيس....).

ثانياً: الشعر الوطني والثوري وخصائصهما

مفهوم الشعر الوطني:

« هو الشعر الذي يتغنّى فيه الشاعر بالوطن فيمدحه ويبكي حاله ويهجو أعداءَه، وهو شعر ظهر حديثاً، و أبرز رواده الشابي من تونس وأحمد شوقي من مصر إضافة إلى شعراء معاصرين كفدوى طوقان ومحمود درويش وغيرهم كثير، وقد تزامن ظهور الشعر الوطني مع فترة الإِحتلال فكان أداة للدفاع ووسيلة للتحريض على المقاومة وقتال المحتل ثمّ بعد الإِستقلال تحوّل إلى أداة بناء وتشييد وإلى نشيد يتغنى بالشهداء والأبطال» [2] أو « هو الشعر الذي قيل في موضوع الوطن، متحدّثاً عن آماله وآلامه، معرِّفاً بالدواء التي تستشري

---

[1] المرجع السابق، ص 57.

[2] الموقع الالكتروني:!? www.jawharasoft.com/vb/showerad.phpمحرك البحث google.

في كيانه، مشيراً إلى الأخطار التي تهدّده من قريب أو بعيد، وقد استطاع أن يرتفع إلى مستوى الأحداث ويواكب الإنتفاضة الشعبية للإنعتاق من ربقة الذلّ أو العبودية»[1]

فالشعر الوطني هو الذي يرتبط بالوطن، يدافع فيه الشاعر عنه إذا هوجم، ويحثّ المواطنين على استرجاعه إذا سلب، والشاعر المغترب_ سواءٌ أكانت الغربة داخلية أم خارجية _ دائماً تجده يحنّ إلى وطنه ويتغنّى به ويتمنّى الرجوع إليه حتى ولو عاش داخله في فقر مدقع، لأن الإنسان مهما تجرّع من نعيم الدنيا وزخرفها بعيداً عن وطنه فإن الحين لنْ يتركه يستسيغ هذا العيش؛ بل سيظل متعلّقاً به إلى آخر نبض في عروقه.

والشعر الوطني من الأغراض الشعرية الحديثة التي نتجت عن تعرض بعض البلدان العربية لتجربة الإستعمار الأوروبي.

يقوم على تجربة مزدوجة:

* تصوير المشاعر الذاتية: يصور الشاعر الوطني مدى حبّه لوطنه وتعلّقه به تعلّقاً يتجاوز الإرتباط المكاني إلى الترابط الوجداني، فأبو القاسم الشابي مثلاً يوظّف السّجلاّت الغزلية للتغنّي بعشقه لتونس (تونس الجميلة– سبّحت في لوج الهوى– دماء العشاق دوماً مباحة)، يرتبط تذكر الوطن بالحنين والبكاء والدّموع، فالوطن مقدّس يبلغ مرتبة قدسية في نفوس الشعراء.

* استنهاض همم الشعوب للنضال:

–دعوة الناس إلى الدِّفاع عن أوطانهم ببذل النفس وسيل الدماء.

–توعّد المستعمر وتهديده بثورة الشعب الغاضبة.

–فضح جرائم المستعمر والتشهير بسياسته العدائية ودمويته تجاه الشعوب الضعيفة.

–الإشادة بقيم الحرية والكرامة والعزّة والإرادة.

---

[1] الموقع الالكتروني السابق.

-زرع الثقة في الشعوب بقدراتها وطاقاتها المعطّلة[1]

وقد عرّف الدكتور أحمد شرفي الرفاعي الشعر الوطني الجزائري بقوله: « الشعر الوطني الجزائري هو في مضامينه قصة جريمة في حق شعب، وجريمة في حق الحضارة، وجريمة في حق الإنسانية دامت قرناً وثمن قرن وهي تدمّر وتفسّد وتقتل وتشرّد، إلى أن انفجر الألم والغضب وانفجر الإنسان والجبل والسّهل، وانفجر التاريخ بكلّ جراحه في نوفمبر 1954(...) كما أنه في الوقت نفسه قصة التفاعل بين الشعر باعتباره من الفنون الجميلة وبين الجريمة الحضارية بكل جوانبها المادية والمعنوية»[2]

فالشعر الوطني الجزائري ارتبط بالإحتلال، فكثير من الشعراء الجزائريين تغنّوا بوطنهم الذي سلبهم إيّاه المستدمر، والمواطن الحقّ هو الذي يدافع عن وطنه بكل ما أوتي من قوة ولو راح ضحيّة لذلك، فكل الذين قُتِلوا في سبيل أوطانهم يُعدّون من المواطنين الصادقين المخلصين.

مفهوم الشعر الثوري:

« هو ما يعيشه الشاعر أثناء الثورة، أو هو الذي يحكي عن معانات بلد مع الإستعمار ومقاومة الشعب له كمعانات الشعب الفلسطيني التي عبَّر عنها محمود درويش وغيره»[3].

إذن الشاعر يتحدث بصوت أُمّته وما تعانيه من حُرقة وآلام وما سبّبه لها المستعمر وما تشكوه من غربة داخل الوطن أو خارجه، فالعيش داخل الوطن المسلوب هو غُربة لأن الشخص لا يتمتّع فيه بكامل حقوقه وحرّيته، وقد ارتبط مفهوم شعر المقاومة بمفهوم الثورة.

---

[1] – ينظر الموقع الإلكتروني السابق

[2] – الشعر الوطني الجزائري: أحمد شرفي الرّفاعي، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، 2010، ص 05

[3] – الموقع الإلكتروني: wwwdjelha.inf.com، يوم: الأحد 2015/08/09، في الساعة: 12:00 صباحاُ، محرك البحث Google

فشعر المقاومة: « هو تلك الحالة التي يُعبّر فيها الشاعر بعمق وأصالة عن ذاته الواعية لهويتها الثقافية والمتطلّعة إلى حريتها الحقيقية في مواجهة المعتدي في أي صورة من صوره، منطلقاً من موروثه الحضاري وقيمه المجتمعية العليا التي يودّ الحياة في ظلها والعيش من أجلها، وانطلاقة شعر المقاومة كانت على يد إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، عبد الكريم الكرمي(أبو سلمى....)»[1].

أو هو: « اِلتزام الشاعر بقضايا وطنه وأرضه وشعبه وقضيته المصيرية ويتطلب ذلك حرارة في القول وحماسة في التعبير ونبرة عالية في الإيقاع وما يتطلبه الفن من عمق واعتماد عل ما للألفاظ والصور الشعرية من ظلال وقدرة على الإيحاء»[2]

فالشاعر الحقّ هو الذي يشيد بمناقب أبطال الثورة ويعتزّ بهم ويفخر يشحذ الهِمم ويُقوّي الإحساس بالروح الوطنية ويبشّر بالحرية.

كما يُعرّف شعر المقاومة بأنه: « الشعر الذي يستنهض الأمّة من سباتها ويوقظها من نومها العميق، ويعمل على تحريك المشاعر والأحاسيس وهي مخرجات لا تتأتى إلاّ بوجود عوامل تحفيز كالاِحتلال والغزو والاِضطهاد الذي تتعرض له الدول والشعوب ومن هنا فإن لشعر المقاومة سمات قيمية أساسية أهمها: البعد الاجتماعي، البعد الإنساني، معرفة الآخر»[3]

إذن لا بدّ أن يكون الشاعر واعياً بأحداث عصره، يعرف ما يجري حوله من الأخبار، ويحسّ بآلام أمّته، يقاسمها أفراحها وأقراحها، وهذا ما وجدنا عند شعراء كثر أمثال محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي ومحمود درويش، وسميح القاسم، ونازك الملائكة، وعبد

[1] – الموقع الإلكتروني: www.karrana.net/forum/archives21542-htm، يوم الأحد: 2015/08/09، في الساعة: 12:00 صباحاً، محرك البحث Google

[2] – الموقع الإلكتروني: www.startimes.com/f.aspsc، يوم: 2015/09/10، في الساعة: 11:30صباحاً، محرك البحث Google

[3] – الموقع نفسه:www.startimes.com/f.aspsc

الرحمن جيلي، ونزار قباني، ومعروف الرصافي، وأبي القاسم الشابي، وشعراء جزائريين أمثال شاعر الثورة مفدي زكرياء ومحمد العيد آل خليفة، ورمضان حمود، ومحمد الصالح باوية، وأبي القاسم سعد الله، وأبي القاسم خمار، ومحمد الأخضر السائحي، ومحمد الشبوكي، وموسى الأحمدي نويوات...

«وجاءت الثورة التحريرية لتقدم شعراء عاشوا (واقع الإنسان الجزائري المنفجر، الزّاحف إلى التحويل، والتغيير الجذري!) (إعادة البنية والعلاقات الاجتماعية بشكل جديد اِستجابة لتطوّر حتمي حدّدته المسيرة التاريخية والتطورات الحضارية) أمثال (عبد الكريم العقون، عبد السلام حبيب، أحمد معاش، محمد الصالح خبشاش، الربيع بوشامة، عبد الله شريط، عبد الحميد زناقي، أبي القاسم سعد الله، محمد صالح باوية، أبي القاسمم خمّار، صالح خرفي، صالح خباشة، محمد الأخضر، عبد القادر السّائحي)»[1]

فلولا النخوة العربية والغيرة الوطنية لما أحسّ هؤلاء الشعراء بما يعانيه الوطن الجزائري من ويلات للحروب، واتِّصال الليل بالنهار دون سكينة أو اطمئنان، ولكن أَبَت قرائحهم إلاَّ أَن تخطَّ هذه الأشعار التي حفظها التاريخ وسطّرها الدّهر، بل خُلّدت في ذاكرة الجزائريين صغاراً وكباراً وحُفظت في صدورهم ووُرّثت للأجيال.

«.... أصبح التوجّه نحو مبدأ الثورة شعوراً وطنياً عاماً، وهو مبدأ تبنّاه الشعر الجزائري وصبّ في الإرهاصات الأولى لهذا التوجه»[2]

فالشعراء الجزائريون أحسُّوا إحساساً عميقاً بما يجري في الوطن الأمّ –الجزائرالحبيبة– من صِراع ودمار ونهب لخيرات البلاد، فانصبت اهتماماتهم بمعالجة هذه القضايا الثورة الوطنية دِفاعاً عن الأرض والعِرض.

[1] – في الأدب الجزائري الحديث: أحمد دوغان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996م، ص 31

[2] – تشكلات الشعر الجزائري الحديث من الثورة إلى ما بعد الاِستقلال: الطاهر يحياوي، دار الأوطان، ط 01، 2011م، ص 29

«... لكن ميلاد الشعر الثوري لم يظهر تحديداً في 08 ماي 1945م، إذْ إنَّ ميلاده الحقيقي لا بُدّ أن يَمُرّ بصورة طبيعية تتماشى مع عدّة عوامل متداخلة تتعلق بسير المجتمع والأحداث (..) ولهذا فإنّ شعر(التعبئة) و(التوعية) والإعداد للثورة الشعبية الكُبرى، سبق بطبيعة الحال شعر الثورة الذي يرتبط بها ارتباطاً شاملاً، ومُعبّراً عن مناحيها المتعدّدة (...) ومن هنا فإنّ الشعر الجزائري لم يكن معبّراً عن الأحداث؛ بل كان قد لعب دوره في صُنعها، وهو ما يجعله في خانة الآداب العظيمة التي صاغت مصير شعوبها، وسبقت أحداث التغييرات الكبرى»[1]

وحقّاً هذا ما نلْحظه عند معظم الشعراء الجزائريين الذين تبنّوا هذه الثورات وتصدّوا بأقلامهم لمحاربة العدوّ وتثبيت صفوف الثوار يقول الشيخ محمد الشبوكي: « ...علمت بالنّصر الذي أحرزته الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة الباغية، فانفعلت بأمجاد هذه الثورة العظيمة (....) حيث اتّصل بي أحد رجال جيش التحرير لأبعث لهم بنشيد ثوري ليتغنى به الجنود، وسجّلت هذا النشيد ولم تُكلّفني صياغته إلاّ سهرة واحدة»[2]

وما يُؤكّد خطوة هذا النشيد ونشيد – جزائرنا يا بلادي الجدود– ومكانته عند الجزائريين نساءً ورجالاً، وما زرعه في نفوس المستدمر، قول أبي القاسم سعد الله: « تمَّ إنشاده في مناسبات عديدة وشاع لحنه بين الثوار، ووصل إلى أنصار الثورة عبر العالم، وقد لُحّن لَحْناً حماسياً لرفع معنويات الجنود، ودفع الشباب إلى الثورة، فهو نشيد مُحاربٌ بألفاظه ولحنه ومعانيه الوطنية ومعلوماته التاريخية التي تجعل الإِستعمار في قفص الإِتهام»[3]

فهذا الشعر الذي زعزع صفوف المستدمر تداوله الثوار فأثار نخوتهم وثبّت عزائمهم، فازدادوا بذلك حُبّاً لهذا الوطن، فللقلم والشعر دور لا تؤديه الرصاصة أو القذائف، وما يؤكّد

[1] – المرجع السابق، ص 30.

[2] – ينظر وقفة مع الشاعر محمد الشبوكي: أحمد دوغان، جريدة الشعب، الجزائر، 26 أفريل 1983م، ص 11

[3] تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 01، 2007م، ج 10، ص 499

هذا قول رسول الله ﷺ في معرض الدّفاع عن عبد الله بن رواحة وكان قد زجره عمر بن الخطاب ﷺ عن قول الشعر في المسجد: « خَلِّ عنه فلهو أسرع فيهم مِن نَضْج النَّبْل»[1]

خصائص الشعر الوطني والثوري الجزائري:

تلتقي بعض خصائص الشعر الوطني الجزائري مع خصائص الشعر الوطني العربي لأن الجزائر دولة عربية لا تنفصم عن شقيقاتها، ولأن الإحتلال مسَّ معظم الدول العربية؛ فلا ضير أن تلتقي هذه الخصائص وتتفق، ومن بين هذه الخصائص:

1 – يعتبر شعر قضية وشعر النِّضال ضدّ الاستعمار، وارتباط الوطنية بالنضال ضدّ الإستعمار سِمة إكتسبها الشعر الوطني الجزائري من طرف الإحتلال الفرنسي للجزائر، وإلاّ فإنّ الوطنية قد تعني الإعتزاز بالوطن وأمجاده والتعبير عن حُبِّه والولاء له، وإذا كانت المعاني السّابقة روافد مُهِمّة لمعاني الوطنية بصورة عامة، فإنها في الجزائر ارتبطت بالنضال ضدّ الاستعمار المتسلِّط على الوطن، والذي ينكر على الجزائريين كل حقّ بما في ذلك حقّهم في التعبير عن حُبّهم لوطنهم والإعتزاز به.[2]

إذن المستعمر هو من ولّدَ هذه الشّرارة وهذه الحرارة في الشعراء الجزائريين، فكانت الثورة مصدر إلهامهم، تبعث فيهم النخوة وتدفع بهم إلى تسخير أقلامهم للدفاع عن قضيتهم وأرضهم.

2 – شعر الدّفاع عن الحقوق الوطنية، فالإحتلال المنتصب في أرض الوطن استولى على الحكم ومصادر الثورة والتجارة، واحتكر كل الخيرات ومنافع الوطن، وأنكر على الجزائريين حقَّهم الطبيعي في وطنهم وخيراته، وقد تصدَّى الشعر الوطني الجزائري للمُحتلِّين الفرنسيين ورَدَّ مزاعِمَهم الكاذبة ودافع عن حقوق الشعب الجزائري، وحين أفلست الوسائل السلمية في

[1] – سنن النسائي: أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي النسائي، بيت الأفكار الدولية، ط 2004، كتاب مناسك الحج/ إنشاد الشعر في الحرم والمشي بين يدي الإمام، ص 306

[2] – الشعر الوطني الجزائري: أحمد شرفي الرفاعي، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، ط 2010، ص 230

الدفاع والمطالبة بالحقوق، تبنّى الشعر الوطني الدَّعوة إلى الثورة ومواجهة الإِستعمار بالعُنف.[1]

فالشاعر إن لم يَحُسّ بأمراض مجتمعه، ويشخِّص الداء ويقدم الدواء فرسالته في الحياة ناقصة أو تكاد تنعدم، لأنه بمثابة المرآة العاكسة لمجتمعه، كما أن القلم قد يوقظ الضمائر ويشحذ الهِمم أكثر من الرصاص والقنابل، ولنا في شعرنا الجزائري الأدلّة القاطعة والبراهين السّاطعة على ذلك، ومن بينها نشيد: " جزائرنا يا بلاد الجدود" للشيخ محمد الشبوكي الذي طلب منه أحد رجال الجيش أن يكتب نشيدّاً ثورياً ليتغنَّى به الجنود .يقول الشيخ محمد الشبوكي: « .... اتَّصل بي أحد رجال جيش التحرير وقال لي: إنَّ الإخوان من قادة الناحية يطلبون منك أن تبعث إليهم بنشيد ثوري ليتغنّى به الجنود، وسجّلت هذا النشيد ولم تُكلّفني صياغته إلا سهرة واحدة، فقد كنت ممتلىء الجوارح اغتباطاً بثورة نوفمبر، واغتباطاً بثورة الجرف التي أشبِّهها إلا بغزوة "بدر الكبرى" قلت سلّمت هذا النَّشيد في صباح اليوم الموالي إلى مبعوث جيش التحرير»[2].

وفي رواية ((رواية رصيف الأزهار لا يُجِيب)) لمالك حدّاد والتي ترجمها إلى العربية حنفي بن عيسى؛ نجد بطل القصة خالد بن طبال الذي كان منفياً مغْترباً عن وطنه يكتب أشعاره ويبعثها كرسائل للثوار، ولم يكن يتوقع هذه الحُظوة لدى قُرّائِها، ولكن سرعان ما فُوجِئت بالقبول، وأنهم يردِّدُونها في الجبال وحتى في السُّجون.

[1] – المرجع نفسه، ص 230

[2] – ينظر: وقفة الشاعر محمد الشبوكي: أحمد دوغان، الشعب، الجزائر، 26 أفريل، 1983م، ص 11

3 – شعر الدّعوة إلى النهضة وتحقيق التقدُّم، فالإِحتلال كانت له آثار سلبية شاملة وعميقة أدّت بالوطن إلى التخلّف في جميع الميادين، وقد اعتنى الشعر الوطني الجزائري بالوضع السّابق وربط بينه وبين الإِحتلال [1]. فالهدف الأساسي للمستدمر أن يَسْلُبَ الجزائر حرّيتها وهويتها ويتركها تعيش في ظلامها الدّامس وألا تصل إلى مصاف الدول المتقدّمة؛ أن تبقى راضِخة خانِعة مستسلمة، ولكن سرعان ما استفاقت الجزائر من غفلتها بفضل علمائها ومُصلحيها، ومعظم الشعراء الجزائريين كانوا من المصلحين أمثال محمد الشبوكي وموسى الأحمدي نويوات ومحمد العيدد آل خليفة ومفدي زكريا.....، فأشعارهم كانت بمثابة العِلاج للأمراض والتضميد للجراح.

4 – يَبْتَعِد عن الحزبية ويتمسّك بالروح الوطنية العالية، يوجِّه النقد للأحزاب ويدين خلافاتها، ويحث على الوحدة الوطنية ويعتبرها سِلاحاً مُهمّاً. [2] فأساس اِتحاد الجزائريين الإِبتعاد عن الطوائف والشِّيَع والنّحل، وجمعية العالماء المسلمين الجزائريين التي جمعت شعراء كثيرين قد تصدَّت بالمرصاد للمستدمر الذي كان يسعى للتفرقة والخلافات والنّزاعات، كما أنها جعلت المواطنين إخوة متعاونين متآزرين من خلال الرّسائل التي كانت تبعث بها للثوار.

5 – سِمة التشابه في المواضيع والأغراض، ومصدر هذه السّمة يتمثل في تأثير المصلحين على النهضة ويعكس تأثيرها القوي على الأدب في فجر النهضة، ويعود ذلك إلى أنَّ حركة الإصلاح كانت إطاراً ثقافياً ضمّ مُعظم المثقفين باللغة الوطنية بعد تشتُّت وضياع، ووجَّهَهم إلى غايات دينية وثقافية ووطنية منذ بدأت الدّعوة إلى تأسيس هيئة وطنية تضمّ شمل المثقفين وتنظم جهودهم[3].

[1] – الشعر الوطني الجزائري: مرجع سابق، ص 230

[2] – المرجع نفسه، ص 230

[3] – المرجع السابق، ص 230

وحقّاً قد حمل المصلحون الجزائريون على عاتقهم مهمّة الدّفاع عن الوطن فكانوا ينشرون الوعي في أوساط الجزائريين _سيما الثوار_ ويحثّونهم على حبّ الوطن والدّفاع عنه بكل ما يملكون، فمحبة الأوطان فطرة الدَّيَّان، والإنسان إنْ رَضَعَ لَبَن الوطنية مُذْ صِباه، فسيدافع عنه وإن راح ضحيّة لذلك، وقد ضرب الجزائريون أروع الأمثال في التحدي والصّمود وعدم الرّضوخ والإستكانة أمثال أحمد زبانا الذي أُعدم ولم يَبُح بسرّ واحد للمستدمر، ولا نقتصر على الرجال فقد وجدنا مشاركة المرأة في هذه المعارك حاضرة مثل لالة فاطمة نسومر المرأة الصقر.

6 – الرُّوح الخطابية البارزة في الشعر: « فمع أنَّ مهمة الشاعر هي كشف عن مجهول النفس الإنسانية والإيحاء لها بصور الحقيقة كما تتراءى للحدس وتترجم عنها الأحاسيس» [1]، إلاَّ أَنَّ الشعراء الجزائريين تخلّوا عن المُهمّة السابقة، وسلكوا نهجاً خطابياً واضحاً، وعبَّروا عن آراء خاصة وحاولوا الاقتناع بها، كما كان من أهدافهم بثّ الوعي الوطني وتكوين المواطنين.[2] وهذا ما نجده عند شعراء كُثُر سخّروا شعرهم للدّفاع عن الوطن، وقد حمل هذا الشعر نبرة خطابية تهدف إلى إقناع الثوار، لأنّ المناضلين يحتاجون إلى منْ يشحذ هِمَمَهُم ويُقوي عزائِمَهم، كما أنّ عُدّة المحتل وعتاده القوي يُثَبِّط بعض العزائم ويُوهن القوى، فلذا كان لِزاماً على الشعراء الجزائريين أن يَبُثوا الوعي في أوساط الشعب، فاختاروا النّبْرة الإصلاحية الخطابية مثل ما فعل مفدي زكريا ومحمد العيد آل خليفة ومحمد الشبوكي ومحمد أبي القاسم خمّار وأبي القاسم سعد الله وغيرهم كثير.

7 – واقعية الشعر الوطني الجزائري، والمقصود بها واقعية الموضوع، وهي نابعة من وظيفة الشعر عند الشعراء، وهي وظيفة ربطت بين الشعر الوطني وبين الجوانب السابقة للحياة الإجتماعية، واستمدّ منها أغراضه، واهتمّ بقضاياها اهتماماً شاملاً انعكس عليه مفهوم الوطنية الواسع بجوانبه الدينية والثقافية والأخلاقية والسياسية؛ ومظاهر الواقعية بمفهومها

[1] – مهمّة الشاعر في الحياة: سيّد قطب، بيروت، دار الشروق، (د.ط)، ص 15

[2] – الشعر الوطني: المرجع السابق، ص 234

السابق تتمثّل في الأغراض المستمدّة من الواقع الوطني، والمتتبّع لهذا الجانب في الشعر الوطني الجزائري يلاحظ أن أغراض الشعراء وأفكارهم مستمدّة من الواقع المعيش وتتبعُه بالوصف، ولا تتجاوز ذلك إلى الخيال الشعري أو الرَّمز الفني تستوحي منه أغراضاً وطنية أو صوراً للبؤس الذي عاشه الشعب الجزائري، وتكشف بذلك عن مشاعر الألم التي تضطرم في النفوس بسبب الإِحتلال وقيوده البغيضة وتبيّن عمقها وأبعادها [1]

فالشعر الجزائري صوّر واقع الجزائريين وما يعيشونه من ذُلّ وقهر وعبودية في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والإِقتصادية، وبهذا يوصل صورة حقيقية للعالم عن حياة الشعب الجزائري، وكيف أنّ المستدمر الذي سلبه حريته يتفنّن في أنواع القهر والزّجر والعذاب، فالشاعر كان همّه الأساسي الكشف عن جرائم المستعمر الغاشم وما عرف به من ظلم وعدوان، ويتغنّى بأمجاد الشعب الجزائري من غير مُبالغة أو مغالاة، يُصوّر الأبطال الجزائريين بالعزيمة والبَسالة والبلاء الحَسَن، وما كانوا عليه من اقتحام وفدائية، وكل هذا من غير إسراف في البديع أو البيان أو تكلّف أو تصنّع.

8 – ضعف عنصر الخيال، وليس الخيال البسيط النابع من التشبيه والإِستعارة والمجاز، فهذا النوع من الخيال يجد الدارسُ صوراً منه في الشعر الوطني على قِلتها وبساطتها، وإنما الخيال الشعري الإبداعي الذي تكون فيه الصورُ جديدة التكوين ووليدة الإبداع، بحيث ينعكس ذلك على الرؤية الشعرية للشاعر وعلى أسلوبه، وحظّ الشعر الوطني الجزائري من الخيال بمفهومه السابق ضئيل جدّاً، فهو شعر تقليدي في مجموعه باستثناء ما لاحظناه من تأثّر بعض الشعراء الجزائريين بالنزعة الرومانسية ومن بينهم عبد الله شريط [2]

ولربّما نعزي ضعف الخيال في الشعر الجزائري إلى أن يوحّدوا صفوف الشعب ويبعثوا برسائل إصلاحية دعوية إلى الشعب، لأنه كان في مَسَيْسِ الحِوَجِ إلى من يبعث فيه الحمية، وهذه جِبِلَّةٌ فُطِرَ عليها الإنسان فمهما كبُرَ إلا أنّه يحتاج دائما إلى من يُحرِّك ضميره ويشدّ

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 238

[2] – ينظر المرجع السابق، ص 242

من أزره، وهذا لايُعَدّ منقصة أو عيباً في حق الشعراء الجزائريين لأن حب وطنهم وإخلاصهم له هو ما جعلهم ينصرفون عن كل شيء ويُسَخّرون كامل جُهُودهم للدّفاع عنه كونه لا يُقارن بكل كنوز الدّنيا وزخرفها ولا يقدّر بثمن.

ثالثاً- ترجمة الشاعر عبد القادر بن القاضي :

1-) نشأته ونسبه:

عبد القادر بن محمد الهاشمي بن القاضي، الكاتب من مواليد يوم 22 جوان 1925م بباتنة.[1]

نسبه من جهة الأب، محمد الهاشمي بن إبراهيم بن الشريف بن محمد بن بلقاسم المعروف بابن القاضي وهو صاحب زاوية أولاد القاضي في جرمة بالقرب من سريانة، ومن جهة الأم من عائلة الشريف حدّاد بن محمد بن عمر بن بلقاسم بن الشريف بتاغيت سيدي بلخير في جبال الأوراس.[2]

قضى معظم طفولته وشبابه في مدينة باتنة، وكان يتردّدُ على المناطق القريبة منها وهي: ((خنقة سيدي ناجي في الجنوب، ثم سيدي معنصر ودوار عيون العصافير وأولاد موسى، وقرية عين مليلة))[3]

فهذا هو نسب الشاعر، فقد نشأ وترعرع في أسرة إسلامية محافظة إنْ من جهة الأب أو من وجهة الأمّ، وهذا ما ساعده على طلب العلم الدّيني والدّنيوي ونيل المراتب الأولى في حياته.

---

[1] – موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين (من حرف الدّال إلى حرف الياء): إعداد مجموعة من الأساتذة، تقديم: محمد الأمين بلغيت، إشراف: رابح خدوسي، منشورات الحضارة– الجزائر، ط 2014م، ج 2، ص 275.

[2] – شعاع الأصيل (شعر قصائد مرتبة ترتيبا زمنيا) 1990– 1999: عبد القادر بن محمد بن القاضي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار– وحدة الرويبة، 2000م، ص 07.

[3] – بوابات النور: عبد القادر بن محمد بن القاضي، المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر، 1990، ص 07

2-) تعلّمه ومهنه:

أخذ الشاعر عبد القادر بن القاضي علومه بمدارس باتنة، وأتمّها بمدينة قسنطينة سنة 1945م ثم بمعهد الدراسات الإسلامية العليا بالجزائر العاصمة، تخرج فيه سنة 1951م.[1]

بعد تخرجه من هذا المعهد مارَسَ مهنة التعليم كمدرس في مدرسة ابتدائية بمدينة عنابة Ecole d'armandy إلى سنة 1955م، ثم كأستاذ للغة العربية والأدب بمدرسة قسنطينة التي كان تلميذا بها وقد أصبحت تدعى بعد الإِستقلال بثانوية "حيحي المكي" (وهو أحد تلاميذها) استشهد في حرب التحرير رحمه الله؛ وقد بقي يدرّس بها اللغة العربية والأدب إلى سنة 1962م، كما درّس أيضاً التاريخ والسّيرة النبوية والعَرُوض بالمركز الجامعي الذي أُنشيءَ بمدينة قسنطينة قُبيل الإِستقلال.[2]

فحياة الشاعر العِلمية ذاخرة بالبذل والعطاء، فالبرغم من الظروف القاسية التي عاشها بالإضافة إلى ظروف الإِحتلال إلاّ أنه لم يتوانَ في طلب العلم ولم يبخل على الناشئة، كما أنه لم يكتف بمجال واحد أو تخصص واحد، فقد وجدْناه يَغْرِفُ من مَعِين اللغة الأدب لأنه موقن بأن الأمة لا تساوي شيئاً، إذا ضاعت لغتها، فاللغة هي رأس كُلِّ شيء؛ وباعتباره شاعراً لا بُدَّ أن يَرْتَشِفَ من علم العروض ما يُعينه على تقويم قصائده من الإِعوجاج، لأن هذا العلم به يُعرفُ المُتَّزِن من المنكَسِر في الشعر.

والإنسان لا بُدّ له من قدوة في الحياة، وليس للمسلم قدوة أفضل من الحبيب المصطفى ﷺ فلذا نجد الشاعر يَدْرس سيرته ﷺ؛ بل ويدرِّسها للأجيال حتى تصل إلى بَرِّ الأمان.

---

[1] – أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة: محمّد بسكر، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة– الجزائر، ط 02،ج 01، 2015، ص 389

[2] – شعاع الأصيل: عبد القادر بن القاضي (مصدر سابق)، ص 08,07

كما أنَّ الشاعر مُوقن بأن فنَّ التاريخ يَحْوي عِبراً كثيرةً ومواعظ، ويطلعنا على أحوال الأمم الماضية، ويرسم لنا تاريخ أُمّتنا ويُعرِّفنا بأمجادِنا وأبطالنا، فلذا أَكَبَّ وحَرِصَ علة تعلّمه وتعليمه.

«وبعد الإِستقلال واصل عملَه في حقل التربية والتعليم والتكوين، مدير أكاديمية قسنطينة ومدير التكوين بوزارة التربية الوطنية، ورئيس ديوان وزارة التربية، ثم ديوان وزارة العدل »[1]

« ثم دُعِيَ بعد ذلك لتدريس مادة العَروض في جامعة الجزائر المركزية من سنة 1991 إلى سنة 1992، ثم كُلِّف في سنة 1992 – 1993م بدراسة تقويمية لكتابي السنة الأولى والسنة الثانية ثانوي في خصوص مادة العروض»[2]

كما يتحدث الأستاذ عن توفيقه في هذا المجال فيقول: « وفي الختام مازلت أذكر ما قاله لي أحد رفقائي في أكاديمية قسنطينة: كيف استطعت أن تثبت نفسك في وسطٍ قلّما أثبت أحدٌ نفسه فيه قبلك؟ ! فأجبته قائلاً: بالصّدق في القول والإخلاص في العمل، وبالخليل أحمد: إِذْ لم يخل اجتماع من اجتماعاتنا الكثيرة ولالقاء من لقاءاتنا من الإِستشهاد بآيات من الذكر الحكيم، وأحاديث النبي الكريم وأشعار لمختلف الأعصار، وحكم وأمثال وشواهد نحوية وصرفية وبلاغية ونحن بصدد معالجة القضايا التربوية والإدارية»[3]

فالشاعر قد نَذَرَ حياته لطلب العلم حتى بعد الإِستقلال، فليس من الصدفة أن يُكلّف بهذه المهمَّات الصعبة، بل لأنّه أهْلٌ لها، فقد نالتْ منه الوطنية حظَّها فرَاح يُكوّن الأجيال ويصنع الرجال، وهذه هي شِمَة الأبطال المخلصين للعِلْم والوطن.

[1] – موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين (مصدر سابق)، ص 276

[2] – شعاع الأصيل: عبد القادر بن القاضي (مصدر سابق)، ص 08

[3] – الشعر العربي أوزانه وقوافيه: عبد القار بن محمد، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م، ص 305

« كما كان الشاعرُ مناضلاً منذ صغر سِنّه في الخلايا السّرية لحزب الشعب الجزائري P.P.A، ثم في المنظمة السرية لجبهة التحرير الوطني O.C.F.L.N بعد حزب انتصار الحريات الديمقراطية M.T.L.D وذلك في كل من المدن التي أقام بها منذ 1943م، وهي باتنة وقسنطينة وعنابة والجزائر العاصمة»[1]

فهو لم يكتف بالتدريس وتكوين الناشئة فحسب؛ بل سخّر جُهده وكافح من أجل هذا الوطن، فكان وطنياً مخلصاً لوطنه وسياسياً مُحنّكاً في مجال عمله فاستحق بذلك حفاوة وتكريماً من قِبَلِ أبناء جِلدته.

3-) تكريمه:

يقول الأستاذ علي بن فليس: « لقد حظي الأستاذ عبد القادر بن محمد بتكريم يليق به وبما قدمه للجزائر وأجيالها مدة خمسين عاماً، فقد التقى غالبية تلاميذ ثانوية التعليم الفرنسي الإسلامي التي حملت اسم الشهيد حيحي المكّي يوم الثاني أكثوبر من عام 2010م، فكتبت خطاباً ذكرت فيه ما قدّمه لنا من طيب العلم والمعرفة، وذكرناه بأليق معاني الخير التي يستحقّها»[2]

فالمربي والمعلّم الحريص على تربية الأجيال لا بدّ أن يحظى ويلقى الحفاوة والتكريم من قبل المتعلّمين، لأنه لا يعرف قيمة العلم إلاّ تلامذته، فهم الذين يرون جُهْدَهُ وعطاءَه وبذلَهُ من أجلهم.

« كما تحصّل الشاعر على الجائزة الثانية في المسرح الشعري عام 1987م»[3]، كما أنه كان من بين المكرمين بجوائز ((مؤسسة البابطينين ثلاث مرات، وقد نشرت هذه

[1] – شعاع الأصيل: عبد القادر بن القاضي (مصدر سابق)، ص 08

[2] – إلى هؤلاء الذين أناروا لي عبقرية لسان العرب: علي بن فليس، دار هومه، الجزائر، ط 02، 2014، ص 117

[3] – موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين (مصدر سابق)، ص 276

التكريمات في كتاب خاص بالمؤسسة، نشر له الأستاذ العربي دحو قصيدة في كتاب من تأليف جماعي بعنوان: "مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين"))[1]

وبما أنه كان حريصاً على نجاح الأمة الجزائرية في المجال التربية وتفوّق أبنائها في هذا المجال فقد: « قلّده وزير التربية وسام الإِستحقاق الوطني في 16 أفريل 1988م، كما عيّنه رئيس الجمهورية عُضواً باللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية في ماي عام 2000م، كما كرَّمته كلّ من مدينتي باتنة وسطيف بشهادات شرفية وتقديرية على أعماله، وحاز على تقدير وتشريف وزارة الثقافة لمشاركته الأدبية في المناسبات الوطنية»[2]

ولكننا نقول وبكل أسف لم يجد الأستاذ عبد القادر بن محمد التكريم اللائق به فهو يستحق أكثر من ذلك، هذا الصدد يتحدث الدكتور علي بن محمد وزير التربية السّابق فيقول: « في شهر أفريل من سنة 1977م صدرت الجريدة الرسمية متضمّنة إنهاء مهام 32 إطاراً هم مجموع من شارك في إعداد الإصلاح التربوي الذي تضمنته الأمرية الرئاسية التي كان أمضاها هواري بومدين يوم 16 أفريل 1976م، ثم بعث لها من يدفنها قبل أن تخطو خطوة واحدة في طريق تطبيقها، فهل انقلب الرئيس على نفسه بإرادته الحرة أم كان مغلوباً على أمره، لم يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً »[3] وكان الأستاذ من بين هؤلاء الذين أنهيت مهامهم فلذا كتب قصيدة يرثي فيها نفسه، وقد عنونها: " أرثيك يا نفسي بنفسي" والتي مطلعها:

أكذا يكون من الحياة جزائي من بعدِ إخلاصي لها ووفائي...؟ [4]

4-) مؤلفاته:

للشاعر مؤلفات عديدة، فقد ألّف الشعر والرواية والقصة.....

[1] – بوابات النور لإبن القاضي (دراسة في الموضوعات والخصائص)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، من إعداد: صباح لعقون، إشراف: د. عيسى مدور، جامعة العقيد الحاج لخضر– باتنة، الموسم الجامعي: 2012/2011م، ص 13

[2] – الشعر العربي أوزانه وقوافيه: عبد القادر بن محمد(مرجع سابق)، ص 07

[3] – عندما يمضي الكبار في صمت ووقار، لا يبقى إلاّ العار ملازماً لأهل العار: علي بن محمد، الجزائر، مايو 2010م، (مقال).

[4] – بوابات النور، (مصدر سابق)، ص 253

أ - في شكل ديوان:

1 جوابات النور

2 شعاع الأصيل

ب -في كل رواية شعرية مسرحية:

1 مسيرة الجزائر

2 صوت الأحرار

3 ألحان وأنغام

ت -في شكل قصة شعرية:

- حياة بين آخر

د- في شكل أناشيد:

1 -ارفعي الرأس وسيري يا جزائر

2 -نشيد جبهة التحرير الوطني

3 نشيد الإستقلال

هـ- في شكل الترجمة لبعض القصائد من التراث العالمي:

1 الرّبيع لموريس كاريم: Le Printemps de Maurice caréme

2 النجم الثاقب للسيدة أكرمان: A la cométe de Mme Ackerman

3 -نشيد الفرح للشاعر الألماني شيلر: L'hymane à la joie de chiller

4 ليلة ثلج لـ: قي دي موباسان: Nuit de Neige de Guyde Maupassant

5 الحنين إلى الوطن للامرتين: Mylly ou la Terre natale de Lamartine

6 النجمة الشاحبة لألفريدوموسي: Pâle Etoile du soire de Alfred de Musset

7 -الطفولة لفكتور هوقو: Lorsque l' enfant paraît de Victor Hugo

و- في شكل ذكريات:

1 -تجربتي في التربية والتربية والتعليم:

فالشاعر عبد القادر بن القاضي لم يكتف فقط بنظم الشّعر فقد ألّف في علم العروض، كما اهتمّ بكتابة القصّة والرواية والمسرحية، فكان أديباً رقيق المشاعر، إذ يُعبِّر من خلال إبداعاته هذه عن حبّه لوطنه وذلك بإثراء خزينة الأدب الجزائري التي ظلَّ ينظر الكثير إليها ناقصة ويرمي هذا الأدب بالضعف.

بالإضافة إلى أنَّ الشاعر كان مترجماً، فقد ترجم قصائد عديدة عالمية، وهذا ما يُنَمُّ على أنه ليس من المتشددين أو المغالين في الأخذ عن الآخر؛ بل إن التَّفتُّح عن الآخر أخذاً وعطاءً يُعْتَبَرُ تقدُّماً ويُوصل الأُمَّة إلى الرقي والإزدهار.

يقول **علي بن فليس** : « أمَّا عن نتاج فكر أستاذنا عبد القادر بن محمد ... ليدل على جُهد وإبداع لا شكَّ فيهما كما أنه لا يختلف في شيء عن جِدِّيَتِهِ في التدريس وإبداعه في التعليم»[1]

فالشاعر رحمه الله قد قدم الكثير ولم يبخل بعلمه سواء في مجال الإبداع والتأليف أم في مجال التربية والتدريس، فقد كان مِعطاءً سخِيّاً لا يكتم علْماً، ولا يُجْجِمُ عن تقديم فائدة، ولا يبحث عن شُهرة ولا جاه؛ بل كان علمه خالصاً لوجه الله دون تباهي أو رياء، وهذا ما يُثبته بقوله[2]:

ضيَّعت عمري في الحروف مُعلّماً ألفاً وباءً بعد تلك التّاء

[1] – إلى هؤلاء الذين أناروا لي عبقرية لسان العرب: علي بن فليس،(مرجع سابق)، ص 117

[2] – بوابات النور، ص 256

ضيّعت عمري في القواعد شارحاً ومفسّراً لمآثر الأدباء
ضيّعت عمري في القريض مُناجياً من حيث لا يُهْتَمُّ بالشعراء
ضيّعت عمري في الإدارة عاملاً حتى استحلت بها من العملاء
سأقول للأبناء قد علمتكم صدقاً وإخلاصاً بدون رياء

5/- وفاته:

يقول الأستاذ علي بن فليس: « ولقد أسلم أستاذنا الفاضل الروح إلى بارئها بتاريخ 24 أفريل 2010م، وترك خلفه أُسرة تتألف من حرمه السيدة بن محمد ليلى وهي من عائلة بلقاضي وثمانية أبناء، خمس بنات وثلاث بنين: ظريفة (كانت مدرسة للغة العربية) ونجيبة (أستاذة للغة الإنجليزية في الطور الثانوي) وأبو القاسم شوقي (إطار في مؤسسة النقل بالسكك الحديدية) وآسيا (مدرسة للعلوم الطبيعية) وطارق (مدرس في مدينة بشار) وأمينة (متخصصة في علم الجينات الزراعي) وخالد (مهندس فلاحي وإطار في مؤسسة BNEDER) وأخيراً بثينة (متخصصة في تقنيات تسيير الحديثة للمكتبات»[1]

فالأستاذ رحمه الله مات وترك أسرة محافظة متعلّمة، وهذا ما يدلُّ على تربيته الفاضلة وحرصه الشديد على التعليم.

مات الشيخ رحمه الله ولم يلْق الاِهتمام البالغ من قبل أبناء جِلدته؛ بل حتى من وزارة التربية التي عاش معظم حياته في رحابها.

يقول الأستاذ علي بن محمد: « أمَّا إذا تنكرت له المؤسسة التي قضي عمره مكافحاً في رحابها، فأهملته حيّاً يعاني الإقصاء والنكران، وتناسته مريضاً يُكابد ألواناً من متاعب علله الكثيرة، من دون أن تصدر منها اِلتفاتة واحدة تشدّ أزره، أو تواسيه في لحظات الألم والمعاناة ثم تتجاهله ميّتاً عندما كان أقلّ واجباتها نحوه يفرض عليها أن تكون هي التي تنعاه للأسرة التربوية، وهي تصعد إلى بارئها. ثم تكون هي الذي نتقبّل العزاء فيه. ثم تتَّخِذ في الوقت المناسب من الإجراءات ما يبقي اسمه حيّاً، وما يُخلّد ذكراه على تواصي المعاهد العلمية والمنشآت المدرسية، وإذ هي لم تفعل شيئاً من هذه الواجبات الدنيا، فمعنى ذلك أنها

[1] - ينظر: إلى هؤلاء الذين أناروا لي عبقريتي لسان العرب، ص 121

بكل بساطة كمن اغتال المعلّم، وأحرق المكتبة، وأتلف صحائف الملحمة !! ... ولا عجب من ذلك، فالشيء مأتاه لا يُستغرب»[1]

فالأستاذ علي بن محمد يُعتاب ويلوم الأسرة التربوية على تهميش شخصية كهذه وجعلها في دائرة النّسيان، فبمثل هؤلاء تزدهر البلاد وترتقي، وإنْ لم تهتم بهم الدولة فمن سيهتمّ بهم؟ منْ سيُخلّد ذِكْراهم ويجعلهم قدوة الأجيال؟

ولكن لا بُدّ أن يكون هناك من يعرف قيمة العلماء، وأفضل الناس معرفة بهم تلميذتهم ، ففي هذا الصدد يقول الأستاذ علي بن محمد: « فإليك من تلميذك الوفي، من رفيقك في مقاطع هامة لديك ولديه من دروبك التربوية المديدة، من واحد من أصغر زملائك في تضاريس عالم التربية ذي السهول والحزون، من أحد شركائك في المصيبة حين هبّت على الجميع عاصفة الخيال الهوجاء، في ذلك الخريف الجزائري الكئيب فإليك باسم تلاميذك وزملائك وأصدقائك أجمعين:[2]

سلام وروح وريحان ورحمة عليك وممدود من الظّل .....
عفاء على دار صنعت لغيرها فليس بها للصالحين معرج
وختاماً الوداعَ. تبقى بعد الوداع، ذكريات مودَّة
الوداع.....الوداع.....
خالدة لا تشترى ولا تباع
أيُّها الراحل عنا.....
يا أعزَّ الرَّاحلين !!
ما لنا في أصعب الأوقات، أوقات الوداع
غير أنَّات الوفاء.....
ودموع في الخفاء.....
وحريق الإلتياع.....
في ضلوع الشرفاء.....

[1] – عندما يمضي الكبار في صمت ووقار (المقال السابق) ص 29
[2] – (المقال نفسه) ص 20

ثم لا نامت عيون الجبناء!!

كما يقول عنه أيضاً وهو تلميذه الوفي المخلص له في حياته وبعد وفاته: « كلما مات معلّم من هذه الفصيلة، تكون ملحمة حيَّة من ملاحم الجهاد التربوية والثقافية في بلدنا قد انقرضت إلى الأبد»[1]

فرحمك الله يا من نذرت حياتك للعلم والعلماء، وفتحت البابَ واسعاً أمام المتعلمين لينهلوا من علمك الغزير، ويأخذوا من بحرك الوفير ويقتدوا بصبرك الجميل؛ فهذا هو المعلّم والقدوة، وإلاَّ ما وجدنا في الجزائر من يصنع الأبطال ويربّي الرِّجال ويحرص على تنشئة الأجيال.

[1] – المقال السابق ص 29

الفصل الثاني

أولا: الشعر الجزائري في عيون بعض الشعراء الجزائريين:

سنقدم بعض تعريفات الشعر لبعض الشعراء الجزائريين أمثال رمضان محمود وأبي اليقظان وغيرهما، ونرى كيف هي نظرتهم للشعر.

مفهوم الشعر عند رمضان محمود : « الشعر تيار كهربائي مركزه الروح وخيال لطيف تقذفه النفس لا دخل للوزن ولا القافية في ماهيته وغاية أمرها أنهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى كالماء لا يزيد الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة وإنما حفظاً وصيانة من التلاشي وسيلان» [1]

فأساس الشعر عنده الروح، والنفس هي التي تصنع وتبثّ الكلمات والعبارات التي لا اعتبار فيها للوزن والقافية، بل هي صناعة لفظية.

مفهوم الشعر عند أبي اليقظان:

أما أبو اليقظان فيقول: « أعلن أن آداب كل أمة مرآتها، ومرآة الأدب الشعر، فالشعر هو مظهر تظهر فيه مشاعر الأمة، وتتجلى فيه أحوالها، وتتراءى للرَّائي نفسيتها، ويعرف به درجة مزاجها العقلي أو هو وحي يوحيه الخيال على النفس فينطلق به اللسان، فينشده الدّهر قروناً» [1] فالشاعر يسبح في بحر الخيال فيوحي له بأعذب الألفاظ والكلمات وأجود العبارات والمعاني التي توضّح لنا صورة الأمة وأحوالها، ونسبة تقدّمها وتطورها، ثمّ تُخلّد هذه الكلمات بما تحمله من معان ودلالات على مرِّ العصور والأزمان تتغنّى بها كلّ الأجيال.

---

[2] رمضان محمود: صالح خرفي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 101.

[1] **ديوان أبي اليقظان:** أبو اليقظان إبراهيم، الجزائر، المطبعة العربية، ط 01، 1930، ص 04.

كما يرى بأنه: « فن من الفنون الجميلة التي لا تكتمل حياة الأمة إلا بها ما دام القصد منه إيقاظ الإحساس وتنبيه الشعور، وتنمية العاطفة وتربية الوجدان، وتنوير العقل، وتهذيب النفس وكبح جماحها وحملها على أغراض شريفة بأخصر طريق وألطف إشارة» [1]

فالشعر في نظره فن جميل رائع به تزهو حياة الأمم وتزدهر مادام يُسهِمُ في شحذ الهِمم وإيقاظ الضمائر ويطرق مواضيع تطمح إلى تغيير المجتمع والوصول إلى الرقي والسّمو.

كما يعرفه **أبو القاسم سعد الله** بقوله: « لو طلب إليَّ أن أعرف الشعر، لقلت بأنه قِصة شعور إنساني في لحظة خاصة تؤدي بالحرف، فالشاعر لا ينظم في حالة عادية، بل حين يبلغ شعوره درجة الاِنفعال العاطفي، وهو لا ينتج في كل وقت، ولكن في لحظة تأزم حدّ... وقمّة الشعور الإنساني لها أسماء مختلفة في عالم الشعر فقد تكون لوعة حبّ، أو شعلة ثورة، أو اختناقه يأس، وهذا يصدق على كل موضوعات الشعر» [2]

فالشعر –في نظره– شعور نبيل لا يتأتى في كل لحظة، بل ينظم في حالات تأثر أو صدمة أو ثورة أو فرح أو حزن، تتحرّك معه عاطفة الشاعر ووجدانه فيعالج به مشاكل الحياة ويروّح به عن نفس، والشاعر يجب أن يكون كآلة تصوير في المجتمع يصلح ما أفسده أفراده ويعيد البسمة إلى الوجوه.

يقول **محمد البشير العلوي** :«لا أرى لمنظوم القول بياناً ولا لمنثور الكلام فصاحة، إلاَّ ما أحس بنغمات موسيقاه تعزف في أعماق نفسي، ووقع أوتاره ترنّ في جوانح قلبي، فذلك ما تفتّش عنه النفس ويرتاح إليه الضمير... فكونوا كما شئتم، واكتبوا ما أردتم، وانشروا ما سوَّلت لكم به أنفسكم فلستم بالغين ما تطمح إليه أنظاركم، وتمتد إليه أبصاركم، وتميل إليه قلوبكم، حتى تقولوا ما تشعرون وتكتبوا عمّا تحسّون، وتنظموا ما تتأثرون...» [1]

---

[1] **ديوان أبي اليقظان**، الصدر نفسه، ص 07.

[2] **ثائر وحبّ**: أبو القاسم سعد الله، دار الآداب، بيروت، 1967، ص 05.

[1] موقع الكلام من النفوس، الشهاب: محمد البشير العلوي، ج 10، م08، أكتوبر 1932، ص 510.

فنظرة الشاعر محمد البشير العلوي للشعر أنه: ترنيمة ونغمة تطرب النفوس وتشنّف الآذان وتحي القلوب، وهو تعبير عمّا يخالج الصّدور ويدور في النفس ويحسّ به القلب.

مفهوم الشعر عند عبد القادر بن محمد بن القاضي : « يرتبط مفهوم الشعر عند ابن القاضي بوظيفته في الحياة، كأن يحمل موقفاً أو يعدّل سلوكاً، أو يدعو إلى أمر... بعيداً عن المفاهيم الأخرى التي تجعل الشعر فنّاً لذاته؛ بل إنه عند ابن القاضي سلوك وفعل ينبغي أن يكون له تأثيره في واقع الناس» [2]

فالشاعر في نظر عبد القادر بن القاضي يُقوّم الاِعوجاج، ويُصلح ما أفسده المجتمع، وليس فقط كاملاً يُتغنى به أو يُنشد في مناسبات، وفي هذا الصدد يقول علي بن محمد: «إنّه في نظره رسالة يؤديها الشاعر بالأخص التام لاِنتماءاته الوطنية والحضارية والفكرية، والتبشير الدّائم بمبادئها» [3]

إذن الشعر عنده مهمّة راقية تحتاج إلى الإتقان والصّبر والعطاء وبذل الجهد تجاه الوطن والإنسانية، فالشاعر لا بُدّ أن يحمل على عاتقه مهمّة الدّفاع عن الأهل والوطن؛ بل الإنسانية جمعاء حتى يؤدي واجبه على أحسن وجه، وإلاّ فرسالته ناقصة تحتاج إلى إعادة نظر وتمْحيص.

---

[2] في اللسانيات التداولية، مقاربة بين التداولية والشعر (دراسة تطبيقية): خليفة بوجادي، بيت الحكمة، ط 01، 2012م، ص 26.

[3] ديوان بوابات النور: عبد القادر بن محمد القاضي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990م، ص 18.

ثانياً: الغربة عند الشعراء الجزائريين تعريفها وأسبابها.

حاولنا في هذا المطلب أن نتحدث عن غربة الشعراء الجزائريين باعتبارها عاملاً رئيساً ودافعاً من دوافع كتابة الشعر الوطني والثوري، فمعظم الشعراء الجزائريين الذين تغرّبوا عن أوطانهم دفعت بهم الغربة إلى الحنين لأوطانهم. فما هي فعلتها في الشعوب المقهورة على أمرها:

أ_ الغربة لغة واصطلاحا:

الغربة لغة: اسم مشتق من الفعل "غرب" أي "بعد"، ويقال: أغرب عني: أي تباعد ومنه التغريب: النفي عن البلد، ويقال: « أغربته وغربته إذا نحيته»[1]

«والغربة : النوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى، وأغرب القوم: انتووا»[2]

«والغربة: الاِغتراب، تقول منه: تغرَّب، واغترب، بمعنى: فهو غريب وغُرُب أيضا».

والجمع الغرباء، والغرباء أيضا الأباعد.

واغترب فلان، إذا تزوج إلى غير أقاربه.

وفي الحديث: ((اغتربوا لا تضووا)).

وأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصُّبح في أعقاب نجم مُغَرِّبِ

[1] – لسان العرب: ابن منظور (مصدر سابق)، ص 639

[2] – العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتاب العلمية، بيروت، م 03، ط 01، 2003، ص 271.

والتغريب: النفي عن البلد»[1]

« وغربت الشمس، تغرب غروباً، بعدت واحتجبت، وأغرب الرجل: أتى بشيء غريب، وتغرَّبَ: ابتعد عن الوطن»[2]

وقد جاء هذا المصطلح في حديث للنبي ﷺ يقول فيه: « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباءِ»[3]

« وغربت الوحش في مغاربها: أي غابت في مكانيسها»[4]

فالغريب كيفما كانت غربته فهو يعيش في فراق وبعد، عن شيء محجوب بالنسبة إليه، سواءُ أكان أهلا أم صُحْبَةً أم وطناً، وهذا ما يُولِّدُ لديه حنينا وشوقا تجاه هذا الشيء، فلذا يظل الإنسان المغترب يعيش في هَمٍّ وضنك حتى يرجع إلى من ابتعد عنهم وفارقهم.

الغربة اصطلاحا:

مُذْ خُلِق الإنسان في هذه الحياة وجُعِل خليفةً في الأرض عَرفَ معنى الغربة، وهذا ما يجسده عبد العزيز مقالح في كتابه ((أصوات الزمن الجديد))؛ إذْ يرى بأن الغربة ظاهرة قديمة

[1] – الصِّحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهري، تقديم: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي – أساممرعشلي، دار الحضارة العربية – بيروت، م 02، (ض. ي)، ط 01، 1974، ص 190.

[2] – دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، دار المعرفة– بيروت، م 07، ط 03، 1971، ص 51.

[3] – غربة الإسلام: ابن رجب الحنبلي، تحقيق أحمد الشرباطي، دار الكتاب العربي، ط01، 1954، ص 64.

[4] – أساس البلاغة: الزمخشري، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1341، ج 02، ص 159.

نشأت بخلق آدم وحواء عليهما السلام، فقد مرّا بتجربة الغربة بسبب أكلهما من الشجرة المحرّمة فأخرجهما الله ﷻ من الجنّة فأصبحا بذلك غريبين في الأرض.[1]

والغربة عند جبور عبد النور: عاطفة تستولي على المرء وبخاصة على الفنانين، فيشعرون في قلق وكآبة لشعورهم بالبعد عما يهوون أو يرغبون فيه، وتبرز هذه العاطفة في شكلين اثنين:

1- حالة الإبتعاد عن ملاعب الفتوة ودار الأحبة.

2- حالة الشعور بأنّ العالم كله سجن أُقْحِم فيه الفنان مرغماً فتولد عنه ذلك الإحساس بأنه غريب بين مواطنيه وأهله.[2]

فالغربة قد تكون داخلية، كغربة الإنسان داخل وطنه جرّاء ما يعانيه من الظلم والإستبداد والإحتلال، وهذا ما نشهده من ظلم الحُكّام والمسؤولين للرعية وقهرهم واستعبادِهم، لأنّ العيش داخل الوطن دون حرية لا يعني سوى النكد والشّقاء، وكذا ظلم المحتل يُعدُّ وَبالاً على الإنسان داخل وطنه، لأن المستدمر ما دخل البلد إلا من أجل استعباد أهلها وسلب حريتهم وقمعهم.

كما قد تكون الغربة خارجية كغربة الإنسان خارج وطنه، فليس كل إنسان يعيش خارج الوطن هو في ترف العيش وبذخه، بل قد يشكو ألم الفراق والنوى عن الأهل والوطن، وإن كان هو من اختار هذه الغربة، لأنها قد تكون بسبب البحث عن الرزق أو في سبيل طلب العلم أو غير ذلك.

[1] – ينظر: أصوات من الزمن الجديد (دراسات في الأدب المعاصر): عبد العزيز مقالح، دار العودة، بيروت، ط 01، 1980، ص 229.

[2] – المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط 02، 1984، ص 186.

ب- أسباب الغربة:

للغربة أسباب ودواعي كثيرة، سنقتصر على ذكر بعض منها:

1 -الإرتحال في طلب الرزق:

حين تضيق الحياة المعيشية بفرد أو قبيلة، كأن يندر الغذاء أو يقل الماء أو ينعدم الكلأ مثلما كان يحدث _ولا يزال_ في البيئة الصحراوية، فإن البدو يقيمون ما توافر لهم الماء والكلإ، وإلا فإنهم يبحثون عن موطن آخر يتوافر لهم فيه هذه المطالب الأساسية التي هي أهم أسباب الحياة وقوامها عندهم.[1]

فالشعراء الجزائريون لم يكن همّهم طلب الرزق فقط وإنما كان لديهم ما هو أعلى من ذلك وهو طلب العلم، فالإنسان هو في مَسِيسِ الحِوَجِ إلى العِلم والرزق، لأن الحياة لا تستمر إلا بهما، وإن لم يَسْعَ الإنسان جاهداً لذلك فحياته ستصبح هما وغمّاً، وطلب الرزق والعلم أمرنا بهما المولى ﷻ فقال في محكم التنزيل: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(10)[2]﴾ ، فالرزق والعلم كلاهما فضل من الله ﷻ.

وقال أيضا: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(15)﴾[3]. ورغب فيهما رسوله الكريم فعن المقداد عن رسول الله ﷺ قال: << ما أكل أحد

[1] – الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة: أمين صالح محمود العمصي، منشورات جامعة قان يونس – بتغازي، ط 01، 1995، ص 59.

[2] – القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، سورة الجمعة ، الآية 10.

[3] – سورة الملك، الآية 15

طعاما قطٌّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، و إنَّ نبيَّ الله داوود عليه السَّلام كان يأكل من عمل يده>>[1]،

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ من سلك طريقا يلتمس علماً سهل الله له طريقا إلى الجنة[2].

وقد صورت لنا « رواية رصيف الأزهار لا يجيب» لمالك حداد والتي ترجمها إلى العربية الدكتور حنفي بن عيسى شخصية الشاعر البطل خالد بن طبّال الذي تغرب عن أهله ووطنه، عن زوجته وريدة وعياله من أجل البحث عن لقمة العيش وكذا نشر رسائله الهادفة إلى الثوار والدّعوة إلى طلب العلم.

2 **فقدان الأهل والخِلاّن:** من أسباب الغربة إحساس الإنسان بفقد الأليف أو الحبيب مما يجعل الحياة أمام ناظريه كئيبة قاسية تبدو مفعمة بالأسى والشجن وقد خلت من السُّرور والبهجة، وهذه الأحاسيس تُعمّق الشعور بالغربة في نفس الإنسان.[3]

فالشخص لا بُدَّ أن تكون له صل وثيقة بأهله وأحبابه، ومن سُنّةِ الله ﷻ في هذا الكون أنْ فَطَرَه على حبِّهم، ولو فارقهم لعاش الغربة بِأَتَمِّ معانيها، لأنه مهما بلغ في هذه الحياة من المكانة والعلو والعِلم إلا أنه لن يستطيع العيش بمعزل عن أقاربه وأحبابه، يحتاج إليهم في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ؛ في أيام الأمن وأيام الخوف.

ومن أعظم المصائب مصيبة فقد الوالدين سيما الأُمُّ، وهذا ما نجده عند شعراء كثيرين يتغنون به.

---

[1] – صحيح البخاري، كتاب البيوع– باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة، رقم الحديث2073، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع،ط1419هـ–1998م، ص391

[2] – جامع الترمذي، كتاب العلم –باب فضل طالب العلم، رقم الحديث 2646، بيت الأفكار الدولية–2004، ص429.

[3] – الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة: أمين العمصي،(مرجع سابق)، ص 60.

يقول الشاعر عبد القادر بن محمد القاضي يرثي أمه التي اختطفتها يد الرّدى[1]:

قف بالسّفينة يا رفيق حياتي واسمع صدى الآلام من نغماتي
يا أيُّها الملاَّح مالك تائهاً فوق البحار مُصَعِّد الزَّفرات
فلقد سمعتك في الظلام مرجعا لحن الصَّبابة ذارف العبرات
تشكو إلى الدُّنيا فراق «نفيسة» كانت تضيء حماك في مشكاة
فلقد فقدتُ كما فقدتَ «ظرفية» كانت تنير دجاي بالسمات
وظننت خيرا في الحياة فخيّبت ظني الحياة بأنكر الكبوات
يا هائما في الليل ينشد نجمة بين النُّجوم وضيئة اللمحات
أو ما لقيت مفتشاً عن زهرة بين الزهور شذية النفحات
فلقد تصدع قلبه لفراقها وفراقها ألم بغير أساة
ولقد تعذب في الحياة ولم يزل يلقى الحياة كثيرة النكبات
أُمَّاه ! كنت ولن تزالي هالة هي عندنا من أسطع الهالات !
أتقنت دورك في الحياة فأصبحت تثمي عليك يا أجمل الأبيات
مَثّلْتِ أخلاق الأمومة بالهوى والصَّبْر والآمال والحسنات
وقضيت عمرك في الكفاح وفي الفدا وكلاهما من أعظم اللذات

3 الخلع:

من أسباب الغربة _ لاسيما في العصر الجاهلي_ ما كان يعرف بالخلع، حيث كانت القبيلة تخلع أبناءَها الذين يخرجون على قوانينها وتقاليدها فتتبَرّأُ من جرائمهم وتتخلّى عن حمايتهم وتأييدهم فيهيمون على وجوههم في الفَلَوَات يقطعون الطرق ويعتمدون على الغزو، وإذا كان مظهرهم الخارجي يوحي بأنهم أحرار، إلاّ أنَّهم في واقع الأمر مُشرّدون غرباء، فهم منفيون عن أهلهم وذويهم مُبْعدون عمَّا أَلِفوه واعْتادوا عليه في حياتهم، فقد انتزعوا من بيئتهم

[1] – بوابات النور: عبد القادر محمد بن القاضي، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف – الجزائر، 1990، ص 241 242

انتزاعا وألقى بهم طريق مُظلِمة شائكة، وكل ذلك زرع في نفوسهم القلق والتمزّق، وأشعرهم بالمهانة والضّياع.[1]

فالإنسان المغترب عن وطنه سواءٌ أكان ظالماً أم مظلوماً سَيَحِنّ إلى وطنه الذي عاش فيه، وذاق حلوَه ومُرّه، لأنّ الوطن إن خَرَجْتَ منه مُكْرهاً سَتُعاني الفِراق والألم، لأنك سُلِبْتَ حقَّك الذي وَهَبَكَ الله ﷻ إياه.

4 -الأسر:

من أسباب الغربة ودواعيها الوقوع في الأسر، فالمحارب الذي يقع بين أيدي الأعداء، فيسمونه العذاب، ويلقون به _ مُكَبّلاً_ في غياهب السّجن بعيداً عن أهله وذويه ومُحِبّيه _ وقد سلب حريته، ولا يعرف عن مستقبله شيئاً _ هذا المحارب يشعر أنه قد أصبح «شيئاً» آخر يختلف كلّ الإختلاف عمّا كان عليه، وتسْتَبِدّ به الهواجس والأفكار السوداء، وغالباً ما يسيطر عليه اليأس والقنوط، ويحسُّ إحساساً عميقاً بالمهانة والضّياع، ويصبح فريسة الوحدة المريرة الموحشة، لا يستطيع _ في هذا الحال_ أن يصارع الأقدار وحده.[2]

فأسرى الحروب يذوقون أنواع العذاب وألوانه مما يجعلهم يعيشون الغربة ويشكون عناءها ومرارتها لأنهم في أيدي العدو، والعدو لا يرحم أسيره، وهذا ما نجده على مرِّ العصور من حروب الجاهلية وُصولاً إلى الحروب التي يعانيها العالم اليوم.

5 -الجهاد في سبيل الله:

من دواعي الغربة وأسبابها الجهاد في سبيل الله، إذ خرج العديدون من عرب الجزيرة العربية من أجل الفتوح ونشر دين الله والتّبْشير برسالة نبيه محمد ﷺ واتّجهوا لمحاربة الفرس شرقا ولمحاربة الروم شمالاً وأوغلوا بعيداً عن أهلهم ومواطنهم ووجوا أنفسهم في بيئة تختلف عن

[1] – الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، أمين العمصي (مرجع سابق)، ص 61.

[2] – المرجع نفسه، ص 62.

بيئتهم التي أَلِفوها: تختلف في المناخ وتختلف في التضاريس، كما تختلف في الزرع والشّجر، وهم لم يكونوا في رحلة للنزهة أو الإستجمام ولكنهم في مهمّة عظيمة مقدّسة قاسية، لذا كان عليهم أن يتحَمّلوا الكثير من المشاق، وأن يتغلبوا على العديد من المصاعب، فإذا أَضَفْنا إلى هؤلاء من الوحشة والإغتراب، فقد شَطَّ لهم المزار ونأت عنهم الدّار، وابتعد الأهل والأحباب، وكان هذا الإحساس _ الشعور بالغربة_ يتضاعف إذا أُصيب الجندي بجراحٍ أو دَهَمه مرض أو أَحسّ بدنو الأجل.[1]

فالمجاهدون في سبيل الله كانوا فاتحين، أُمِرُوا بذلك لنشر الدّعوة الإسلامية وتطهير الأرض من الشِّرك والمشركين، فكان لِزاماً عليهم أن يتغرّبوا عن أهلهم وديارهم حتّى ولو كَرِهوا ذلك؛ بل شدّد الله ورسوله في هذا الأمر وتوعَّد المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله، ولنا في سيرة رسول الله ﷺ أروع القصص، كحادِثة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك (ساعة العسرة): كعب بن مالك، ومرارة بن الرّبيع وهلال بن أُمية، وكيف كان عقاب الرسول ﷺ ومقاطعته لهم وأَمرِهِ للصّحابة ﷺ مجانبتهم والإبتعاد عنهم، وهذه الحقيقة قد أكّدها القرآن الكريم في سورة التوبة، إذ يقول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى آ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الاَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[2] وهذا حتى يُثْبِت لهم بأن الجهاد في سبيل الله أمر واجب، والتّخلُّف يوم الزحف كبيرة من الكبائر إلا بعُذر حقيقي.

6 -الزهد والتصوف:

ومن أسباب الغُربة _الروحية_ الزهد والتصوف، فالزهد المتصوف لا يرتحل عن أهله ولا يبتعد عن موطنه بجسمه، ولكنه يعيش بينهم أو قريبا منهم، وإن كان يَنْأى بسلوكه في الحياة ونظرته إلى جوانبها المختلفة عمَّا أَلِفَه الناس واعتادوا عليه، فهو يخالفهم في فهمه لها المبني

[1] – الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، أمين العمصي (مرجع سابق)، ص 63.

[2] – القرآن الكريم، سورة التوبة الآية 118

على التأمّل الذي يؤدي إلى اقتناعه ويقينه أنها فناء وليست دار خلود أو بقاء، فلا يأبه لما يعرض فيها من متاع وزخرف، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ((رابعة العدوية)) فقد أفاقت روحها ممّا أصابها من إثم وتطهَّرت نفسها من ذنوبها السابقة، فاعتزلت الناس وتوجّهت إلى الله بكل جوارحها تسعى إلى الإتصال الرُّوحي به عن طريق التخلص والتّطهُّر من أكدار النّفس وشوائبها، وقد استطاعت بإخلاصها وتفانيها أن تبلغ قِمة السمو والإستغراق في الحب الإلهي وهي خلال هذا الطريق الطويل الشاق تبقى غريبة حتى تتصل روحها بالمعشوق ((الإله)) فإذا وجدت روحها هذا الهدف وتحقق لها الوصول إليه زالت غربتها.[1]

فالغربة عند الزُّهَّاد والمتصوفة ليست غربة عن الأهل والوطن، وإنّما هي غُربة داخلية، فالإنسان يعيش بين أهله، ولكنه يذوب في الحُبّ الإلهي، ويتخلى عن ملذَّات الدنيا وشهواتها ويقبل على ما عند الله ﷻ من الطاعات والعبادات كما يتمسك بالآخرة، لأنها دار البقاء والخلود، وإنما الدنيا ممرّ ومعبر للآخر، وهي الفانية الزائلة.

7-التشريد والنفي:

من دواعي الغربة التشرد والنفي أو المطاردة والإبعاد، فالإنسان المطارد من قِبَلِ أعدائه لا بُدّ له أن يغترب بعيداً عن أهله وذويه كي ينجو بنفسه من الأخطار التي تلاحقه.

ولكن هؤلاء الذين نُفُوا وشُرِّدوا أثبتوا أنّ الشاعر الحقّ هو الذي يعبّر عن وجدان أُمّتهِ ويكافح من أجل حريتها وكرامتها، فالجهاد بالكلمة لا يقلُّ عن الجهاد بالسيف.[2]

فالإنسان إن لم يجد الرّحمة والشفقة بين أهل وطنه فحتما سيعيش مُشرّداً يشكو أَلم البُعد والغُربة وكذا من نُفي عن وطنه وأهله، مهما تجرَّع من نعيم الدنيا وزينتها ووجد من يهتم به خارج وطنه إلا أنه سَيَحُسّ بالفراغ والوحدة وسيشتاق إلى ماء الوطن وهوائه؛ إلى ظله وشمسه،

[1] – الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة: أمين العمصي (مصدر سابق)، ص 64

[2] – المصدر نفسه، ص ص 65- 67.

بل إلى كل لحظة عاشها فيه، فهذا هو الوطن، وإن ظلمك أهله وأَجْبروك على الخروج منه إلاّ أنك لن تكره أرضاً حملتك وبلاداً ربّتك وبقعة أوتك، وستظلّ تنتظر لحظة الإفراج عنك والسّماح لك بالرجوع إلى الوطن الذي رضعت لبنه وأكلت ثماره اليانعة، وهذا ما صرح به الشاعر صالح خزفي الذي لقي الحَفاوة والتكريم مِن قِبَلِ أهل مصر، يقول:[1]

أُمّي اسأليني عن حياتي في ربوع القاهرة
عن آهتي وتململي عن مُقلة لي ساهرة
لا أكذب التاريخ يا أمي فنفسي شاكرة
(للنيل) شاكرة أيادي لا تقدر زاخرة
لكن يا أُمّاه والأَيّام تخطو عاثرة
أَيّام غربة شاعر آماله متناثرة

8 الهجرة:

قد يشعر بعض الأفراد أو الجماعات أنّ حياتهم في أوطانهم قد أصبحت جحيماً لا يُطاق من جرّاء العراقيل الصعوبات في الحياة السياسية أو تَرُّض البلاد للسيطرة الأجنبية أو الحكم الفردي المستبد، وقد تتعرض البلاد للضعف والفساد والرّشوة، أو توزيع الثروة توزيعا مُجْحِفاً ممّا يسبب لها انهياراً اقتصاديا يترتب عليه عدم قدرتها على توفير الحياة الحرّة الكريمة فيضطرون إلى الهجرة طلباً للحرية أو سعياً وراء الرزق.[2]

فهجرة الأشخاص من أوطانهم مردّها إلى التهميش الذي يعانون منه، فالله ﷻ خلق الإنسان ووهبه حرّية الرأي والتعبير وحرية الاِمتلاك، لكن إذا سُلِبَتْ منه هذه الحريات أصبح يعيش هَمَلاً ممَّا يؤدي به إلى الهجرة إل خارج الوطن بحثاً عن الرزق والعيش الرّغيد، لأنّ

[1] – أطلس المعجزات: صالح خزفي، الشركة الوطنية للشر والتوزيع، الجزائر، ط 02، 1982، ص 95.
[2] الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة: أمين العمصي (مصدر سابق)، ص 67

الحياة السعيدة فِطرة جُبِلَ عليها الإنسان، وحبّ الاِمتلاك من طبائع البشر، فلذا نجد ظاهرة الهجرة معروف عند الإنسان مُذْ خُلِقَ على وجه الأرض، وقد انتشرت بقوة في هذه العصور نتيجة ظلم الحُكّام والرُّؤَساء، واستبداد المحتل وقساوته وطغيانه وفعلته في الشعوب الضعيفة والمقهورة على أمرها.

وقد صرّح أبو القاسم سعد الله بهذه الحقيقة فقال: « ومُنذ وضعت قدمي في ليبيا شعرت بالحرية وبروح القومية العربية وبحاسة غريبة، عَرَفْتُ عندئذ لماذا يغادر الناس أوطانهم رغم حُبِّهم لها، فوطن بلا حرية هو سِجن رهيب لأهله»[1]

فهذا هو الإنسان جُبِلَ على حبّ الحرية فلذا سيظل يبحث عنها إلى آخر نبض في عروقه، والسعادة تتبع الحرية وتلازمها، أما المقيّد فلا حرية له.

ثالثا: علاقة الشعراء الجزائريين بوطنهم وبالثورة الجزائرية.

لقد أحبّ الشعراء الجزائريون وطنهم ودافعوا عنه بأقلامهم، وإنْ كان الرصاص يخيف العدوّ؛ فإنَّ القلم يُثَبِّط العزائم ويُوهن القوى ودِفاع الشعراء ع الوطن سَاعَدَ الثوار على حمل السِّلاح وجعلهم يندفعون إلى ساحة التحرير، لأنّ الجزائري آمن بالثورة بعد أنْ أَيْقَنَ أنَّ فرنسا هي رأس الخديعة والمكر، وأَنَّ حريته لن يصنعها إلاَّ بتحدِّيه وصموده.

وتجدر الإشارة إلى أنّ القصد من الثورة في هذا البحث ليست فقط ضد الاستعمار الفرنسي؛ بل حتى على الظلم والاستبداد والإرهاب والحاكم الجائر...،وهذا ما سنثبته من خلال عرضنا لبعض القصائد التي كتبت في فترة الاحتلال، أو القصائد التي قيلت بعد الاستقلال، كقصائد الشاعرة جهاد الجزائري وغيرها .

وفيما يلي سنعرض بعض الشعراء الجزائريين الذين تصدّوا لهذه المهمّة النبيلة وشاركوا في استرجاع السيادة وتحرير البلاد. ونبدأ بشاعر الشمال الإفريقي بلا منازع محمد العيد آل خليفة، يقول في قصيدة بعنوان: " من وحي الثورة والاِستقلال"[1].

[1] – منطلقات فكرية: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 02، 1982، ص 47.

وطني المفدّى بالكِفاح تحرّرا ومصيره بعد النّجاح تقرّرا
فابن الجزائر صارَ سَيّدَ أرضها والغاصب المُحتلّ وَلّى مُدْبرا
بُشرى لنا بحكومة عربية شعبية رَعَتِ البلاد لتعمرا
قد كان تحرير الجزائر غاية مُثْلَى لثورتنا وفَتْحاً أكبر

فالوطن الجزائري قرَّر مصيره وأقْسَمَ أن يثور وينجح، فهو سَيّدُ بلده وسيطرد الغزاة ليقيم وطناً عزيزاً تعمره المحبّة والسّعادة والإخاء والكرامة.

كما يقول في قصيدة أخرى بعنوان: " ثورة بنت البلاد"[2].

ساهمي في الجهاد جُند الجهاد وأعدِّي الفدا النصر البلاد
يا فتاة البلاد شعبك نادى فاستجيبي بعزْمَةٍ للمنادي
جَدّ جدّ النساء وانطلق الرَّكـ بُ مع الرّكب للمدى باتِّحاد
واستدار الزّمانُ فالسَّعي للجِدْ سَيْنِ حتمٌ عليهما والتفادي
كيف يرضى الجُمودَ منْ كان حيّاً ليس يرضى الجمودَ غير الجماد
إنَّما الأَمَّهات دولاب عمرا نٍ ودوحات عصمة واستناد
هُنَّ أَسّ البيوت والأهل تدبيـ راً وأنس الأزواج والأولاد
نحن عون الرِّجال في كل حال أَيّ سعد لَمْ يُسْتَفَدْ مِن سُعاد
ويمين لَمْ تَستَعِن بشمال وسراج يستضيء بوقاد
فَلْنَثُرْ ثورة على الظلم كبرى ولْنُحَطِّم سلاسل الأقياد
ولْنقُمْ من رُقاد فهو عارٌ هل يفيد الرُّقاد غير الكساد
كيف أنسى قومي وموطن قومي كيف أنسى عُرُوبتي أو ضادي؟
كيف أنسى أبي وأمي وأهلي أَهَلْ بِرِّي حُرمتي ووِدادي؟
كيف أنسى شعبي، وتاريخ شعبي وابن شعبي، وماله مِنْ أيادي؟
كيف أنسى مجد الجزائر قدما كيف أنسى مآثر الأجداد؟
لست أنسى مفاخري فاطمئِنّي وثِقي بي في ثورتي يا بلادي!!

[1] – شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، موفم للنشر الجزائر 2010، ص443
[2] – شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، موفم للنشر الجزائر 2010، المصدر السابق ص430

فمادامت الجزائر محاصرة فلا بدّ من إحداث ثورة تُرجع عِزّ البلاد وسؤددها، يشارك فيها الرجال والأطفال؛ بل حتى النساء، وذلك بالتربية الصّالحة للنَّشْءِ، فالمرأة شقيقة الرّجال في كل شيء بل هي المُعين له على شؤون الحياة، ولنا في النساء الجزائريات القدوة الحسنة أمثال جميلة بوحيرد وجميلة بوباش لالا فاطمة نسومر.... اللواتي خلّد التاريخ ذكرَهُنّ نظراً لما قَدَّمْنَهُ من أجل هذا الوطن الغالي، فالجزائر لَنْ يُنْسَى شعبها، لن يُنسى تاريخها ومجدها؛ بل سَتَظَلّ خالدة في نفوس كل أبنائها وبناتها.

وإلى شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا الذي يقول في قصيدة له بعنوان: " نشيد الإنطلاقة الوطنية الأولى"[1].

فداء الجزائر روحي ومالي ألا في سبيل الحرّية
فليحي (حزب الإستقلال) و(نجم شمال إفريقية)
وليحي شباب الشّعب الغالي مثال الفدا والوطنية
ولتحي الجائر مثل الهلال ولتحي فيها العربية

نرى بأنّ الأبيات تُعبّر عن وطنية الشاعر الصّادقة، فهو يفدي الجزائر بروحه وماله، لأنها أرض الفِدا والدّفاع والحمية، أرض العروبة الصّادقة والوطنية الحَقّة، ويرى بأنّ تحرير الأوطان يتطلّب شباباً صامدين يُفجّرون الثورات في أرجاء البلاد، إذ يقول في قصيدته: " اذكروا الثورة في أقسامكم"[2].

صُعْداً، نحو العلا والسُّؤْدد يا شباب اليوم، أبطال ال غ د
أنتم اليوم رجاء، وغدا أنتم أركان صرح الأبد
فاصدقوا العزم، لتحقيق البقا فالبقا وقْفٌ على المجتهد
فاذكروا الثورة في أقسامكم إنّ ساحات الوغى (كالمعهد)

[1] – اللهيب المقدس: شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا،موفم للنشر،الجزائر،2003م ص 89
[2] – المصدر نفسه، 169.

واقرؤوا فيها كتاب الشُّهدا فهو وحي الله في معتقدي
واذكروا شعباً، على أشلائه قام في سوق المنايا، يفتدي
مِن قتيل، يتنَزَّى دمه وسجين، وشريد مبعد
فاكتبوا العِزَّة فيه بيد وارفعوا الرَّاية فيه، بيد

فالشاعر مفدي زكريا يدعو الشباب الجزائري أن يطمح للعُلا والسيادة، لأنه هو منْ يَحْمل راية التغيير وهو من يُعَوَّلُ عليه في المستقبل، وتحقيق النّصر لا بُدَّ له من صِدق النية والإصرار والصُّمود والتحدي، كما يُذَكِّرُهم بأسلافهم الذين خاضوا الثورات والمعارك ولم يخافوا من الموت ولم يرضخوا ولم يستكينوا للعدو، فبهذا كُلّه يرسمون طريق العِزّ والكرامة ويرافعوا الرّاية في ربوع الوطن.

ويقول الشهيد الرّبيع بوشامة في قصيدة بعنوان: " يا شباب العرب هيا للعلا"[1].

يا شباب عاهدوا الله على خدمة الشعب وحرب الدُّخلاء
اسمعوا صوت جريح مرهق واسْتجيبوا باهتمام للنّداء
إنّ أوطانكم الشمّ بكت واستغاثت: يا لَقَومي للفداء
يا لَقَومي لِصغار رُضَّع ونساء ورجال في الدِّماء
وشباب ضيع قد حُرِموا في حِماهم كل خير وهناء
حطّموا الأغلال عَنّا وافتدوا أَمَّة ردَّت عبيداً وإماء
وأعزّوا كُلَّ وجه كاسِف ساءه الذّلّ وألوان الشقاء
وخذوا الحرّية الحمراء لها وارفعوها فوق هام الشهداء
لا تهابوا الموت في سبيل العُلا إنّما الموت حياة العظماء
ذاك صوت الحقّ يدعو في السّما يا شباب العرب هيا للعلا
أبذل الأرواح والمال تَعِشْ بالمُنى والعِزّ عيش السُّعداء

جمع الشاعر الشهيد بين الوطن والثورة، فالوطن الجزائري عاش ويلات الحروب ممّا دَفَع به إلى تفجير ثورات عديدة، كما أنه جريح يستنجد بأبنائه، يدعوهم إلى تحطيم وكسْرِ

[1] – ديوان الشهيد الرّبيع بوشامة: جمع وتقديم جمال قنان، دار هومه– الجزائر، 2010م، ص 86

القيود والأغلال لترفرف الحرية في ربوع الوطن، ويعلو صوت الحقّ وتعيش الجزائر شامخة مُشْمَخِرَّة عالية سعيدة.

كما يقول في قصيدة بعنوان: " في ذكرى 08 ماي" التي عدها البعض أنها من صميم وطنياته[1]:

لي فيك يا(ماي) النوائب والرَّدى ذكرى ستبقى طيلة الأعوام
فقدان خير أب وأكرم صُحبة وجحيم يسجن حفَّ بالإعدام
يا(ماي) قد ظلموك حقّاً مثلما ظلموا الضّعاف، وشَوّهوك بذام
وكسوك ثوب المجرمين إهانة مقصودة لسنائك البسَّام
ما كنت أهلاً للفجائع والأذى لولا هوى في دولة الأقوام
يا (ماي) مالك واجِماً لم تنتقم أو ما سقاك الظَّلم أسوأ جام
فارفع إلى مولاك شكوى ضارع يبرأ من الحُكّام والأحكام

يخاطب الشاعر شهر ماي الذي عَرَفَ حوادث جِساماً وشهد خراباً ودماراً، فهذه الذكرى لن ينساها الشاعر، كما كل الشعب الجزائري، فقد فقدَ فيه أهْلَه وخِلاّنه اكتوى بمرارة الغُرْبة داخل السُّجون وغياهب الظَّلام، فشهر ماي لا ذنب له ولا وزر، ولكن المستدمر هو رَسَمَ له هذه الصُّورة التي ظلَّت تُذكِّرُ الجزائريين بالأسى والحُرقة والألم، وهذا لن يمنعك يا ماي من الثورة على الظُّلم وإرجاع السيادة لأرض الجزائر.

كما يقول في قصيدة بعنوان : في ذكرى 08 ماي سر على الدمع و الدماء الغوالي[2]:

سر على الدمع والدماء الغوالي يا شهيداً في ذمة المتعالي
وامتط النور للسم اوات تحذو ك أغاني الرضى و روح الجلال

[1] – موسوعة الشعر الجزائري: إنجاز: الربعي بن سلامة ومحمد العيد تاورتة وعمار ويس وعزيز العكايشي، دار الهدى– عين مليلة– الجزائر، ط 2009م، ص 215

[2] ديوان الشهيد الربيع بوشامه (مصدر سابق) ، ص 59

و يهنّيك – في المعارج – املا ك السّما بالمنى و خير المنال
مهدر الدم و الحياة تواريت شهابا في الصخر و الأدغال
و تسارعت للأفول خلاصا من وجود منافق محتال
لم تمتع نفسا و قلبا و لم تشف غليلا من صبوة و جمال
حرموك المنى و نعم الحياة في شباب منظر الأحوال
وتباروا في القمع و العسف والأذ لال والمنكرات جهد النكال
آه للضعفاء من دماء عجز ساقهم للردى على إذلال
أخذوهم باسم الأمان و عاشوا في حماهم بالحرق والقتال
إن دما حرا يهان اعتداء لجدير بالعز والإجلال
سوف يعلو– تاجا– على مفرق الدهر و يغدو أسا لأغلى منال

يخاطب فيها الشهيد الذي هو في ذمة الله ويدعو أن يعلو للسماوات وكله نور وضياء، وستجد التهنئة من ملائكة السماء وتحظى بالرياض قرب خير الأنبياء، فأنت الذي حاربت المنافقين وأهلكتهم، ولكنك رحلت عن هذه الحياة و لم تتمتع بها ولا بجمالها ولا بالشباب ونضارته، أراقوا دمك الغالي، و مزقوا أشلاءك وتنافسوا في إذ لا لك و عذابك؛ ثم يأسف ويتحسر على دماء الضعفاء وما نالهم من عجز، فالمحتل اخذ أموالهم وسفك دمائهم و ادعى حماية نسائهم وأطفالهم.

فدم الشهيد حري بالفخر و التعظيم، و سيبقى خالدا في نفوس الجزائريين، وسيلقى المحتل جزاءه من العذاب و النكال و الويل، لان الغلبة ليست لصاحب العدّة و العتاد، وإنما للتقي النقي الذي لا يهاب العدو ولا الجراح؛ وفي الأخير ينادي الشعب ويدعو أن يقوّي ثقتَه بالله عز وجل ويستمسك بدينه حتى يصنع المعجزاتِ، لأننا امةٌ لا تؤمن إلا بالحق والصدق والعدل.

- و يقول في قصيدة بعنوان: «يا فتى الأوطان قم»[1]

يا فتى الأوطان قم فارفع اليوم العلم

[1] – المصدر السابق ص203–206

و تقدم للفداء باسلا راسي القدم
و الق أبطال العدا ضاحكا عالي الشمم
و اسقهم كاس الردى من يد تزجى العدم
إنما أنت فتى للمعالي و الهمم
و للكفاح الوطني الأعز المحتدم
أي شعب معبد عز من دون الم
كل مل في أرضنا حرب رق و نهم
و دفاع دائب بين طماع النسم
سوف نحميه بكل القوى بين الأمم
في أعاليه الهلا المفدى و العلم
رمز عز للجزائر محروس الحرم
حبذا منظره في حمان المحترم

ففي هذه القصيدة يدعو الشاعر كل مواطن صادق أن يرفع العلم عزيزا شامخا في ارض الوطن، ويخطو خطوات ثابتة واثقة من النصر دون تقهقر أو تخاذل لإلحاق الهزيمة بالمستعمر، و هذا يتطلب همة عالية وتحدي وصمود ، والمواطن الحق هو الذي لا يرضى بالدانية، وإنما يسعى جاهدا نحو السمو والعلا أو الاستشهاد في لسبيل الله و الوطن، لان السيادة والعزة لا يتحققان إلا بالتضحية والدفاع عن هذا الوطن الغالي سواء أكان ذلك بالرصاص أم بالقلم، وبذلك نذيق المستعمر أنواع العذاب وألوان القهر ونبيد جمعه و نشئت شمله ونثبط عزيمته ونوهن قواه دون رحمة أو شفقة، لان المحتل لا عهد له ولا أمان، والتسامح معه أو التفاوض ذلة وعار. فلنحم وطننا بكل ما نملك ونرفع رايته عزيزة في كامل ربوعه؛ وها

هو موسى الأحمدي نويوات دافع عن هذا الوطن بقلمه، فيقول في قصيدة بعنوان: "من وحي الثورة"[1].

بِنَا سار الجزائر بعد ظهر يشق بنا العباب إلى الشمال
وكنت ترى الخضم بدا كزرع تكفيه الرياح لدى استبدال
فطوراً لليمين يميل كرها وأخرى لليسار على التوالي
وما سيري لأرض الغرب طوعاً ولكني دفعت إلى الانتقال
طغت ريح السّموم علي حتى برتن ي بالضَّنى بري الخلال
جناة من بني الأورام طارت لترتكب العظيم من المحال
وظنَّ (الشقر) أنَّ الخطب سهل وأنَّا كالشوائم في الخوالي
وأنَّا مالنا في الكون وزن وأنَّا عاجزون عن النزال
وما علموا بأنا لا نجارى وأنَّا كالصواعق ف القتال
وأنا كالجحيم إذا اضطرمنا بنا يصلي الشجاع من الرجال
وأنا كالقضاء إذا نزلنا فهدَّ الرَّاسيات من الجبال
وأنا كالجحيم إذا ابتلينا نخطف ف الوَغَى سفر السِّبال
ونسحقهم بحدِّ العزم سحقاً وإن كثر العداة ولا نبالي

ففي هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن سفره إلى فرنسا كرهاً لا طوعاً، فرياح السّموم قد بعثت به إلى أرض العدوّ؛ تاركاً خلفه جنّة تأخذ العقول وتأسر الألباب، ثم يتحدث عن المستعمر الذي ظنَّ أن الجزائر لا تقوى على منازلته، ونعتها بالجبن والخوَار، ولكنه ما عرف الوجه الخفي لها، فهي التي لا تقهر ولا تستكن، ولا تتوانى ف دفع الظلم والظالمين، وستري المحتلَّ ناراً وجحيماً من غير ما اكتراث لعدَّته أو عتاده.

كما يقول في قصيدة عنونها بـ: " أيها الشعب اتَّحِد".[2]

[1]– ديوان الأديب موسى الأحمدي نويوات: موسى الأحمدي نويوات، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1430هـ – 2009م، ص 19–20

[2] – المصدر السابق، ص 27 –28

أيُّها الشعب اتَّحد وإلى السمحة عُد
وامتط الحزم وذُدْ عن حاك ما ألم
باتحاد ترشد باتحاد تسعد
باتحاد ترتقي رغم ذيَّاك الشقي
فاقشع السّحب أَزِح عن سماك ما راتكم
لترى من هام في حبَّها كلّ صفي
دُرَّة في صدف لم تنل بالصدف
أعيت الغوَّاص في لُجِّ بحر ملتطم
لك دين قد دعا لوفاق ونعى
كل حبل قطعا وأبى أن ينفصم
عجباً تختلف والعدى تأتلف
إنَّ هذا مؤسف يابني خير الأمم

فهذه الرسالة موجّهة للشعب الجزائري كي يتَّحد ويكون يداً واحدة على المحتل، فباتِّحاد تقوى شوكته وتكتمل سعادته ويرتقي للمعالي ويحقّق أعلى المراتب، فالجزائر لؤلؤة بعيدة الغور، صعبة المنال، وعلى شعبها أن يحميها من كيد الكائدين لأنّ ديننا حريص كل الحرص على حماية الوطن بالاتحاد والاعتصام وترك الفرقة والانفصام.

ودائما من أجل وطن واحد لا بُدَّ من تكاتف الجهود، يقول أحمد بزيو في قصيدة عنوانها «أم الشهيد»[1]:

لا تصرخي أم الشهيد وزغردي فمن الحجارة تورق الأشجار
ومن الحجارة يختفي أعداؤنا وبها يزول عن الوجوه غبار
لله درُّك يا حبيبة قدسنا أنجبت إعصاراً يُفَكُّ حصار
ويرى جنينك روحه في كَفِّه تنمو على زفراته الأفجار
أبناء أدنى الأرض أبطال هم لا تستقرُّ بقدسهم أحبار
مذكورة أوصافهم أسد الشِّرَى من فجَّر الجسم؟ الورى يحتار

[1] – ديوان نبضات الهوى(شعر)، أحمد بزيو، ط1 المنطقة الحضرية، جسر قسنطينة، الجزائر، ص 34

هذي النفوس رخيصة يوم الوغى والنَّصْرُ آت والعدوّ ينهار
الله أكبر تغشى السَّمَا الله أكبر واحد نصَّار
لا تصرخي أم الشهيد وزغردي فلكم يجنُّ لصوتك الأحرار

يهنّئ الشاعر أم الشهيد ويأمرها بأن تزغرد، فالحجارة تخيف العدوّ، وترجع لنا مجدنا وعزّنا، كما القدس التي أنجبت الرجال الأشاوس ليس بحملهم للسلاح وإنما بجهادهم بالحجارة، فالجزائر قدّمت أبناءها للمعارك لا يخافون في الله لومة لائم وكذلك القدس، والنفوس تهون من أجل الوطن، لأنها موقِنة بالنصر الموعود.

وهذه قصيدة بعنوان «نوفمبر» يقول فيها الشاعر[1]:

نفمبر أنت في وطني رموز وأنت هنا لنا فيك المزيد
توغّل في القلوب فكان روحاً عرفناك الصِّبا ولنا مفيد
وألحان أوراسنا قد تسامت وفي كل إشراق شمس جديد
وفي كل وقع فرنسا تخور وفي كل ضرب لها نستزيد
فهذي يدي عطرها من دمائي فداك بلادي فروحي تسود
بلاي وروحي وحبِّي دروس وطبعي أنا ليِّن وشديد
أحبّك دوما برغم المآسي سقتني أصولي فصرت أجيد
نعم وطني إن تجاهلك جمع تأكد بأني إليك الوحيد

يرى الشاعر كما كل الجزائريين في نوفمبر عيداً ونصراً، ويأملون فيه كل خير، فهذا الشهر مبارك عندهم ومقدّس، وكذلك الأوراس؛ المنطقة التي عرفت انتصارات كثيرة منذ عهود غابرة وقد تعطّرت بدماء الشهداء الزكية، وعطرهم الشّذي ومسكهم الفوّاح، وقد سالت هذه الدماء على تلك المنطقة فطهّرتها من رجس وبراثن المحتل الغاصب، وسيبقى هذا الوطن عزيزاً على كل الجزائريين ولن يتخلّوا عنه مهما كلّفهم الأمر.

[1] – المصدر السابق ص27-28

يقول الشيخ الشبوكي في قصيدة بعنوان:«لبيك يا ثورة الشعب.....»[1]

غنى فأطرب بالآمال شادينا وأرشد المُدْلج الجيران حادينا
وذاع للسّر نشر في حواضر وشاع للحق صوت في بوادينا
تحقيق الأمل المنشود وانطلقت كتاب النصر من أعلى روابينا
وآمن الشعب أن المجد تصنعه بالاتحاد وبالرشاش أيادينا
الله أكبر، لاح الفجر وانبعثت أنغام ثورتنا الكبرى تناجينا
لبيك يا ثورة الشعب التي زحفت تطهّر الأرض من رجس المناوينا
هذي معاركنا يا قوم شاهدة أنا جهزنا على قوات غازينا
إنا نحيّي رجالا فيك قد صمدوا وحققوا النصر أبطالا ميامينا
لله تلك الدماء الزاكيات سقت (عدوان) و(الجرف) و(الزرقا)
جادت بها نخبة باعوا نفوسهم لله والوطن المحبوب راضينا
نحن الأولى عرف التاريخ صولتنا منذ القديم دنّاً لغازينا؟
فالأطلس الصّامد المرهوب جانبه بالنصر في حربنا أمسى يهنّينا

فالشاعر قال هذه القصيدة قالها بعد معركة الجرف الشهيرة التي وقعت سنة 1955م؛ قامت هذه الثورة فشاع الحق وانتشر وتحقَّق الأمل والنَّصر، وهذا بعد أن آمن الشَّعبُ أنَّ مَجدَ الأوطان لن يُصْنعَ إلاَّ مِن قِبَلِ بِنَيه الصَّادقِين بالإتِّحادِ، سِلاحهم التَّكبير والدُّعاء، قاموا ليطهِّرُوا الوطن من رجس الأعداء، فصنعوا ثورة كانت لهم الدّواء، أبادت جمع الفرنسيين وفرَّقت صفوفهم وهدَّت قِواهم، لأنَّ الجزائر شعبٌ لا يرضى الضَّيم ولا يرضخ ولا يستكين، شعب صَدَقَ اللهَ فصدَقَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ونصره، قدَّموا أرواحهم في سبيل الله والوطن ودماؤهم رَوَتِ الأرض أَخْصبتْ وأَنتجت الورود والزَّهر، فحيَّتهم الدنيا والأطلس هَنأَهم والله عزَّ وجلَّ بارك سَعيَهم.

كما يقول في قصيدة عنونهاب: "من ملحمة الثورة"[2]

حي الجبال أخي وحي المدفعا وأحمد إلهك شاكرا متخشعا

[1] – ديوان الشيخ الشبوكي: محمد الشبوكي، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2010م، ص 25

[2] – ينظر إلى المصدر السابق ص30

واهتف بأبطال الجهاد منوّها بالشعب قد أبلى البلاء الأروعا
والشعب إن رام الحياة موحّدا نصرت كتائبه ونال المطمعا
والمجد صعب لا تذل متونه إلا لمن ضحّى لها وتطلعا
يا عصبة البارود يا من كنتم لكتائب التحرير جيشا أبرعا
علمتم الدنيا المكارم والفدا وبنيتهم للمجد صرحا أمنعا
في ساحة الحرب الضروس مثل الشرود شجاعة وتطلعا
حتى تولّى في الملامح خاسئا جيش السلاحف خاسرا متضعضعا
وبقلعة الأوراس أحبط سعيهم لما تخاذل جمعهم وتصدعا
يا جبهة التحرير أنت ريادة ضربت مثالا في القيادة أروعا
حررت ذا الوطن العزيز بثورة كانت على الأعداء ريحا زعزعا
الله باركها وسدد خطوها والشعب كان لها السلاح الأنفعا

يُحَيّ فيها الشاعرُ الجبال الصامدة، ويحمد الله عزَّ وجلَّ شاكراً، لأنَّ الشعب إن قصد الحياة رامَها نصره الله عزّاض وجلَّ، والمجد لن يناله إلاَّ مَنْ ضحَّى من أجله، فالجزائر علَّمت الدنيا الفدا والحمية وضربت المثل الأعلى في الجهاد وحاربت الدَّنِيَّةَ وأثْرعت العدوّ كأس الذّلّ وطعم الهزيمة، حتى شهدت على ذلك الهضاب، وأَحبطَ الأوراسُ مَسعاهم وخذلهم، وكتَائبُ الصّحراء رمَتْهم بالسِّهام فأَوجعتْهم وبهذا ضربت جبهة التحرير مثالاً في القيادة والرِّيادة وحرَّرت الوطن من براثن المستعمر وصنعت السّيادة.

ومع قصيدة "جزائرنا يا بلاد الجدود"[1] يقول الشاعر

جزائرنا يا بلاد الجدود نهضنا نحطم عنك القيود
ففيك برغم العدى سنسود ونعصف بالظلم والظالمين
سلاما سلاما جبال البلاد فأنت القِلاع لنا والعِماد
وفيك عقدنا لواء الجهاد ومنك زحفنا على الغاصبين
قهرنا الأعادي في كل وادي فلم تجدهم طائرات عوادي
ولا (الطنك) ينجدهم في البوادي فباءوا بأشلائهم خاسئين

[1] – المصدر السابق ص 71

وقائعنا قدروت للورى بأنا صمدنا كأسد الشرى
فأوراس يشهد يوم الوَغى بأنا جهزنا على المعتدين
سلوا جبل الجرف عن جيشنا يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا بجيش الزعانفة الآثمين
نعاهدكم يا ضحايا الكفاح بأنا على العهد حتى الفلاح
ثقوا يا رفاق بأنّ النجاح سنقطف أثماره باسمين
قفوا واهتفوا يا رجال الهمم تعيش الجبال ويحيا الشمم
وتحيا الضحايا ويحيا العلم وتحيا الدماء دما الثائرين

هذه القصيدة التي بسببها أُسِرَ الشاعرُ ولقي ما لقي من أنواع القهر والتعذيب، لكنها ظلَّت حافزاً للثوَّار والشعب؛ تحدث فيها عن قوة الجزائري الذي ولدته الحربُ وأرضعته وفطمته حتى صار رَجُلاً يُعوِّل عليه في الدَّواهي والخطوب كما أنَّ الأوراس الذي يُعتبر همزة وصل بين الماضي والحاضر، شاهد على ما صنعته الجزائر من أبطال وربَّتْه من أجيال.

وأخيراً يُعاهد الضَّحايا بأَنَّا سنسير على العهد ونقطف أزهار النجاح وترجع الجزائر لأهلها ويُرفع العَلَم شامخاً مُشمَخِرّاً، وتُخلَّدُ ذكرى الشهداء.

كما لديه قصيدة يشحذ فيها الهمم عنوانها بـ: «إلى شباب الجزائر» يقول فيها[1]:

حصن وجودك يا شباب بالعلم والنظر الصواب
لا تهمل الوقت الثم يـ ـ ن وراء أطياف السراب
وارصد خيارك من ضمير الشعـ ـب والخلق اللباب
واحذر أباطيل الألى رفضوا الثوابت والكتاب
الناقمين على الجزا ئر يبتغون لها الثبات
الحاقدين على العرو بة في السهول وفي الهضاب
أنت الأمين على حقو ل (الضاد) من كل استلاب
فاحرس معالمها وذد عنها مخادعة الذئاب

[1] – ديوان محمد الشبوكي (مصدر سابق)، ص174

والدين فاسلك دربه تجن السعادة والثواب
وتعيش على رغم العدا متحررا من كل عاب
وتعيش بأرضك سيّدا تعلوا فضائك السحاب

يوقظ فيها ضمائر الشباب الجزائريين ويأمرهم بأن يحصّنوا وجودهم بالعلم النافع وأن يغتنموا الوقت ويستغلون أحسن استغلال، وألاّ يؤمنوا بالتّراهات والأباطيل التي تتنافى وشريعتنا الإسلامية، بل وجب عليهم التصدّي لكل الناقمين على أرض الوطن ؛ أرضِ العروبة والإسلام وحمايتها والذّود عن حياضها، لأن أعداء الوطن ما استوطنه إلا من أجل الانتفاع بخيراته، ولا صِحّة لزعمهم الكاذب (الحماية والاِنتداب) فلذا وجب عليهم التمسّك بالدّين الإسلامي الذي يجدون فيه نجاتهم وعِصْمتهم من الزَّلل.

ولأبي القاسم سعد الله قصيدة بعنوان: " الثورة (ليلة أول نوفمبر 1954م)، يقول فيها[1]:

كان حُلماً واختمارا
كان لحنّاً في السّنين
كان شوقاً في الصدور
أن نرى الأرض تثور
أرضنا بالذات، أرض الوادعين
أرضنا السُّكرى بأفيون الولاء
كان حُلماً، كان شوقاً، كان لحناً
غير أنّ الأرض ثارت
والهُتافات تعالت
من رصاص الثائرين
والكثافات تهاوت

[1] – الزمن الأخضر،(ديوان سعد الله): أبو القاسم، عالم المعرفة الجزائر، ط3، 2010م، ص175

مثلما تهوى الظنون

وبراكين بلادي هزّت الدّنيا ومارت

كقلوب الكرماء الوادعين

فحلم الجزائر منذ أعوام عديدة وسنين مديدة أن تثور الأرض وتتطهر من رجس المحتل الغاصب، وتُغْسل من صَدَئِهم وحقدهم الدّفين، وها هو الحُلم يتحقق بعزيمة وبسالة الشعب الجزائري الذي سَخَّر كامل جهوده لتحرير بلده، فاهتزت الأرض، ورجعت لأهلها بعد التحدي والصّبر والصمود.

ويقول أيضاً في قصيدة بعنوان: " وطني"[1]

وطني صاحت الرياح حواليك

وثارت الأهواء

وطغت بالدّماء أوجه الأرض

وحالت الأشياء

كل ما في الوجود يفدي ضحاياك

حتى الرُّبى والسَّماء

ينادي الشاعر وطنه ويؤكّد له أنه مهما أَلمّتْ به من الخطوب والمصائب، مِن سفك للدّماء وتمزيق للأشلاء وتغيير للأشياء إلا أنه سيظلُّ عزيزاً سامقاً مُشْمَخِرّاً، تفديه حتى الأرض والسماء.

ولا ينسى الحديث عن الأوراس الذي صنع الثورات وبثّ الأمل في نفوس الثوار، فيقول في قصيدته " الأوراس"[2] :

من حولك الصراع والدّمار

[1] – المصدر السابق ص217.

[2] – المصدر نفسه، ص 249.

والنار تأكل الأحياء في (الدّوار)

من حولك الدّماء كالأنهار

تجري فتسقي الأرض ماء الثأر

لتنجب الأشاوس الأحرار

من حولك الدّيار كالقبور

مهدومة ميتة الحضور

إلاّ عويل الريح والصّرير

وحشرجات أهل تلك الدّور

تدمي شعورا فاقد الشعور

من حولك الجزائر البيضاء

قد بدّلت ثيابها حمراء

تعوم في مسابح الدّماء

أنها، يا زماننا، شمَّاء

تأبي الخضوع تأبى، الإِنحناء

لِمَ لا تثور أيُّها الأنوف

وتبعث البركات كالحتوف

على مذبحي الأطفال في الكهوف

ومن لهم بظلِّك الوريف

جرائم تُعدّ بالمآت والألوف

يخاطب الشاعر الأوراس الذي بدا صامِداً رغم الصّراعات الدّائرة عليه، فنار العدّو أكلت الأخضر واليابس، وسقت الأرض دماء فوّارة، ولكن هذه الدّماء ستنجب أبطالاً أحراراً رغم الذُلِّ والهوان والخراب والدّمار، فالجزائر بعد أنْ كانت تلبس الأبيض أصبحت حمراء بدماء الشهداء

الأبرياء، وهذا ما جعلها أكثر صموداً تأبى الخنوع، وسيثور أبناؤها الصَّامدون ويُحيون أرصها ويُطَهِّرونها من رجس العدوّ وكيد الماكرين.

ولمحمّد الأخضر السّائحي قصيدة بعنوان: " نشيد الثورة"، يقول فيها[1]:

وثبنا فلا تطمعي في النجاة وثُرنا فلا تحلمي بالبقاء
حلفنا سنمحق كل الطغاة ولا بُدّ للشَرّ أن يُمحقا
وحقّ الجزائر أرض الجدود وأبنائها الأقوياء الأسود
وحقّ الدّماء وحقّ العهود لسوف تُرفرف هذي البنود
وتخفق بالنصر يوم اللقا
حلفنا سنقضي على المعتدي ونمحوه في اليوم لا في الغد
فإنَّا هناك على موعد نسير إليه يداً في يد
سنمضي هناك إلى الملتقى
سنمضي لنرفع هذا العَلَمْ ليخفق حُرّاً بأعلى القمم
فإمَّا قضينا حقوق الذّمَم وعُدنا ...وإمَّا طوانا العَدَم
ولمن سنمضي لكي يخفقا
سنمضي نُدوّي مع المِدْفَع وإنْ نحن مُتنا ولم نَرْجَعِ
فإنَّا وقفنا ولم نَرْكَعِ وسوف أقول وقولوا معي
لأرض الجزائر طول البقا

فالشاعر محمد الأخضر السَّائحي يهدّد فرنسا بأنّ الشعب سيثور ويسحق كلّ متجبّر طاغ ويمحو الشّرّ ويبدّد العتمة والظلام، وسيرفرف علم الجزائر في ربوع الوطن الجزائري، وتُرفع رايةُ النّصر حتى ولو راح الشعب ضحيَّة ذلك، المهمّ أن ترجع الأرض لأبنائها الصَّامدين الثائرين لكي ينتفعوا من خيراتها، فأرض الجزائر باقية ببقاء الحياة ولن يَسْلُبَها المستدمر الفرنسي حريتها.

[1] – ديوان همسات وصرخات: محمد الأخضر السَّائحي، موفم للنشر الجزائر، 2010م ص235.

ويتحدث الشاعر أحمد الطيب معاش عن أرض الجزائر في قصيدة بعنوان: " نحن والأرض"[1]

الأرض أرضي والبلاد بلادي وقصتي مرسومة الأبعاد
معروفة أرضي لكل منقب خال من الأغراض والأحقاد
من عهد عادٍ أو ثمود رملها يحكي لنا عن غابر الأجداد
إن أنكروا جَدّاً ثوى في أرضه هل يُنكرون وثائق الأحفاد؟
ماذا يقول الناكرون لقصَّة تروى الحقائق دون أي مزاد؟
الأرض أرضي والدّيار دياري وقصتي مهتوكة الأستار
ردّوا على الغاز اللعين ووحِّدوا صَفّاً به تقضوا على استعمار
وارموا بكل قذيفة ورصاصة شيطان بغي ظالم مكّار
واستقبلوا بالصّدر كل مُضرّج قد دعا رغم المعتدي للدار
وامضو إلى الأرض السَّلِيبة إنها في الإنتظار تهيب بالأحرار
الأرض قالت للبنين تعالوا فتحرّكت من دوننا الأثقال
وأجاب صخر في الهضاب ولم يجب ابن كريم واهب فعّال
حتى أتى سيل الزبى وتفاقمت لجج العداة وساءت الأحوال
ثارت جموع الضفتين ورَحَّبت بالموت، واجتاح العدى زلزال
فإذا بأرض الأكرمين تضمُّنا وإذا بنا في لحظة أبطال

فأرض الجزائر للجزائريين، ولن ينازعهم فيها أ حدٌ، فتربتها تحدّثنا عن الأجداد الذين حرّروها من كيد الأعداء، وتاريخها يحكي عن عراقتها وأصالتها، لكنِ المستعمر أرادها عناصر، ففرَّق شملها وشتّت جمعها، وتركها تعيش في تَبابٍ ويَبابٍ، فلذا يدعو الشاعر أبناءها لتوحيد الصّفوف والقضاء على العدو بالغاز والقذائف والرّصاص لردّ مزاعم المحتل.

[1] – ديوان الترايح وأغاني الخيام: أحد الطيب معاش، موفم للنشر – الجزائر، 2010م، ص 205

وأرض الجزائر دعتنا واستنجدت بالأبناء ولكننا توانينا وتخاذلنا، وأجابت دعاءها الصّخرة الصَّمَّاء، وفَسَحنا المجال للأعداء فدمَّروا وغيّروا وأنهكوا وسلبوا الأعراض ومزّقوا الأشياء وسفكوا الدّماء، ولكن سرعان ما استيقظنا من سباتنا وغفلتنا وأجبنا النِّداء،وأيقنا بأنّ النّصر للأتقياء فإنْ ضاعت التقوى صار النّصر للأقوياء، فصنعنا نصرنا بإيماننا وعزّتنا، وصرنا أبطالاً يهابنا الأعداء.

كما أنّ الشاعر الطيب محمد الصّالح باوية الذي أحسَّ بقضايا أُمّته فعالجها معالجة فعّالة بمشاعر تفيض رِقّة وعذوبة يقول في قصيدة يجمع فيها بين حبّ الوطن والدعوة إلى الثورة يقول في هذه القصيدة التي عنونها ب" الإنسان الكبير"[1]:

قال شعبي يوم وحَّدَنا المصير

أنت إنسان كبير.....

ياجراحي

أوقفي التاريخ أنا نبع تاريخ جديد

يزرع الكون سلاماً وابتساماً وبطولات شهيد

من ضلوعي من دمي عبر الجزائر

من خطى طفل جريء يحمل المدفع في أرض الجزائر

ياجراحي

أوقفي التاريخ أنا حدث ثرّ، وكون لا يحسد

يغرق التاريخ والكون يجرح يستجد

فبلادي ثورة بكر... بأرضي بسمائي بكياني تستبدّ

يا أنا يا ثورتي ... يا أغاني طفلتي ...

أنا إنسان كبير

[1] – أغنيات نضالية (شعرية): محمد الصالح باوية، موفم للنشر– الجزائر، 2008م، ص 57–58.

إلى أن يقول:

وبقلبي ثورة تمتصّ معنى العاصفات

توقظ الأرض بفأس ولهاة

وتعيد العِطر كل العطر للزهر المُدمَّى... للحياة

ثورة إنسانة الغلاّت تسقي أمنياتي

والرُّبى والصّبح من نبع الحياة

باركيها يا جموعي يا فتاتي

أنا إنسان حياتي

فالشاعر يتحدث بلسان كل جزائري، ويبعث رسالة إلى الثوار يدعوهم فيها إلى حمل السّلاح والثورة على الظلم والعبودية، ويُحيّ الأطفال الجزائريين الذين لم يخافوا ولم يَفْرَقوا من المستعمر؛ بل أشهروا السّلاح في وجهه، فثورة الجزائر فتية بكر تُدافععن وطن ينبض بالقوة والشّجاعة، ثورة حملت قِيماً إنسانية رفيعة وأنجبت أبطالاً شُجعاناً، ربَّت إنساناً كبيراً بقلبه، كبير بعقله، كبيراً بحُبِّ وطنه.

ولأبي القاسم سعد الله قصيدة بعنوان: " الثورة (ليلة أول نوفمبر 1954م)، يقول فيها[1]:

كان حُلماً واختمار

كان لحنّاً في السّنين

كان شوقاً في الصدور

أن نرى الأرض تثور

أرضنا بالذات، أرض الوادعين

أرضنا السُّكرى بأفيون الولاء

كان حُلماً، كان شوقاً، كان لحناً

[1] – الزمن الأخضر،(ديوان سعد الله): أبو القاسم، عالم المعرفة الجزائر، ط3، 2010م، ص175

غير أنّ الأرض ثارت

والهُتافات تعالت

من رصاص الثائرين

والكثافات تهاوت

مثلما تهوى الظنون

وبراكين بلادي هزّت الدّنيا ومارت

كقلوب الكرماء الوادعين

فحلم الجزائر منذ أعوام عديدة وسنين مديدة أن تثور الأرض وتتطهر من رجس المحتل الغاصب، وتُغْسل من صَدَئِهم وحقدهم الدّفين، وها هو الحُلم يتحقق بعزيمة وبسالة الشعب الجزائري الذي سَخَّر كامل جهوده لتحرير بلده، فاهتزت الأرض، ورجعت لأهلها بعد التحدي والصّبر والصمود.

ويقول أيضاً في قصيدة بعنوان: " وطني"

وطني صاحت الرياح حواليك

وثارت الأهواء

وطغت بالدّماء أوجه الأرض

وحالت الأشياء

كل ما في الوجود يفدي ضحاياك

حتى الرُّبى والسَّماء[1]

ينادي الشاعر وطنه ويؤكّد له أنه مهما أَلمّتْ به من الخطوب والمصائب، مِن سفك للدّماء وتمزيق للأشلاء وتغيير للأشياء إلا أنه سيظلُّ عزيزاً سامقاً مُشْمَخِرّاً، تفديه حتى الأرض والسماء.

[1] – المصدر السابق، ص 217

ولا ينسى الحديث عن الأوراس الذي صنع الثورات وبثّ الأمل في نفوس الثوار، فيقول في قصيدته " الأوراس":

من حولك الصراع والدّمار
والنار تأكل الأحياء في (الدّوار)
من حولك الدّماء كالأنهار
تجري فتسقي الأرض ماء الثأر
لتنجب الأشاوس الأحرار
من حولك الدّيار كالقبور
مهدومة ميتة الحضور
إلاّ عويل الريح والصّرير
وحشرجات أهل تلك الدّور
تدمي شعورا فاقد الشعور
من حولك الجزائر البيضاء
قد بدّلت ثيابها حمراء
تعوم في مسابح الدّماء
أنها، يا زماننا، شمَّاء
تأبي الخضوع تأبى، الإِنحناء
لِمَ لا تثور أيُّها الأنوف[1]
وتبعث البركات كالحتوف
على مذبحي الأطفال في الكهوف
ومن لهم بظلِّك الوريف

[1] – الزمن الأخضر، (المصدر السابق)، ص 249

جرائم تُعدّ بالمآت والألوف

يخاطب الشاعر الأوراس الذي بدا صامِداً رغم الصّراعات الدّائرة عليه، فنار العدّو أكلت الأخضر واليابس، وسقت الأرض دماء فوّارة، ولكن هذه الدّماء ستنجب أبطالاً أحراراً رغم الذُلّ والهوان والخراب والدّمار، فالجزائر بعد أنْ كانت تلبس الأبيض أصبحت حمراء بدماء الشهداء الأبرياء، وهذا ما جعلها أكثر صموداً تأبى الخنوع، وسيثور أبناؤها الصّامدون ويُحيّون أرضها ويُطَهّرونها من رجس العدوّ وكيد الماكرين.

وإلى شهر النّصر والفتح عند الجزائريين ومع محمد بلقاسم خمّار في قصيدته " إلى نوفمبر الأنجاد"[1]:

نفمبر... أيُّها النائي.....كفانا من الذّكرى... أَقِم حتّى ترانا
ودم بين الجوانح ... في دمانا وزحزح... عن محاجرنا... عمانا
لنصبر منك... كم صرح تهاوى؟ وندرك من جلالك... ما بلانا
لعلك ... إن ملكت الرّوح منّا تعيد بحُبّنا الغافي "البيانا"
نفمبر كنت في الماضي عميقاً فهمت بنا... وصرت لنا أبانا
وجئت بثورة الأبطال لمّا تبنّتنا ... فأعجزنا الزّمانا
وسُحْنا فوق تربتها ...حَيارَى... نروم القوت ... من أرض سوانا
تقزّمنا ...تقسّمنا.... شظايا تراشقنا رصاصا... وافتتانا
غزونا خيرنا... سلباً ونهباً وأطرقنا المزارع ... والجِنانا...
وبعنا ثروة الأبناء ظُلماً وحولنا مجامرهم دخانا...
وخُنّا ثورة الآباء جهلاً كأنّ دِماءَهم ... ليست دِمانا...
تكالبنا... تحزّبنا... خصوماً قتلنا بعضنا.... ماذا دهانا...؟
نفمبر أيّها الغالي.... أعِدْنا إلى رشد.... يقوّمنا سنانا
وخُذ من جيشنا العاتي دروعاً وأنجاداً.... تزيل بِهم شقانا...
سليل جنود ثورتنا.... حرِّيٌّ بأنّ يستلهم اليوم القرانا
كفانا من تسامحنا.... كفانا لنسحق من تآمر أو توانى

[1] – ينظر ديوان محمد بلقاسم خمّار: محمّد بلقاسم خمّار، دار أطفالنا للنشر، ج 01، ص 11– 14

لِتَلْعَنَ كُلّ محتال لئيم ولا نرضى خبيثاً أو جبانا
ونمطر أرضنا طُهْراص وعزما وتُلْغِ الخوض... في مُنّا .... وكانا
إلهي هل ستغفر.... أم ترانا تجاوزنا الحدود.... بما اعْتَرَانا....؟

فهذا الشهر الذي أصبح خالداً في نفوس الجزائريين، يطلب منه الشاعر ألاّ يرحل حتى يزيل العَمَى عنّا، فبعد أن تخلّينا عن الأرض فأجدبت ورُحنا نطلب القوت من غيرنا، وانقسمنا وأصبحنا شرذِمة لا يطيق الواحد منّا الآخر، ويأكل بعضنا بعضاً، وتخلّينا عن تربة الأجداد وأكلنا ثروات الأبناء وسفكنا دِماءَنا، أتيْتَ ففجّرت الثورة وأيقظتنا من سُباتنا، فَلْتقم بيننا خالداً حتّى ترجعنا إلى صوابنا لأنّ الأمل مزال موجوداً فينا أنّنا أحفادُ مجاهدين وشهداء ثورة نوفمبر ولن نرضخ للمستعمر، بل سنمطرهم رصاصاً وسلاحاً.

ومن الزمان إلى المكان، ومن شهر النّصر إلى جبال الأوراس التي حملت الثورة والثوار، ومع قصيدة " الأوراس" يقول[1]:

من معقل الثورة والثوار من قلعة الجهاد والتضحية
أورَاسنا يا جبل الأحرار فيك رفعنا شعلة الحرّية
آثارك العريقة البنيان تحكي لنا عن عزّك التلِيد
وعهدك الناهض بالعمران يشدو بأنغام الصُّبح الجديد
أوراس يا ساحر كل سائح يا منبع الورود والعيون
بكلّ جمال سابح في هضابك الرؤى فنون
إليك يا حبيب كلِّ شاعر يعيش للنّضال والبطولة
تحيّة عميقة المشاعر يا رمزنا في الذوْد والرجولهْ

من جبل الأوراس الذي مرّ منه الفاتحون كعقبة ابن نافع وطارق ابن زياد وموسى بن نصير وغيرهم لنشر الدّين الإسلامي والدّعوة إلى التوحيد، من المكان نفسه تنطلق الثورات الجزائرية، تذكرنا بمجد تليد وماضٍ عريق ومكان عتيق، جبالك حمت الثورة ونصرت الأبرار

[1] – المصدر السابق، ص 257

ودفعت كيد الفجّار، أنت مُلْهم الشعراء الكلمات ومعين الثوار على القتال والجهاد، فإليك تحيّة خالصة يَاسَ وهبتنا الشّهامة والبطولة.

ويقول في قصيدة بعنوان: "دعاء الوطن"[1]

وطني نداؤك قد أثار حفيظتي وارتجّ منه القلب كالتيار
وأعاد لي ذكرى زمان قاتم ذكراك يا وطني مع الأشرار
ذكراك في شهر المجازر مُرّة تنمو وتحترق من دمى وشراري
ذكراك يا وطني تفجّرنا دما وتخضنا فنثور كالأقدار
الإنتقام الإنتقام شعارنا والموت للمحتال للغدار
فدماؤنا فوّارة وزنودنا للذود لا لحمولة الأقذار

فنداء الوطن أثار فينا النخوة وذكّرنا بأيام سلفت وأعوام مضت، ذكّرنا بالمجازر القاتمة التي قضت على الأخضر واليابس، وبعث فينا الحميّة، فرحنا نفجّر الثورات ضد الستدمر وننتقم لأرضنا وعرضنا ونسقي العدوّ كأس الذُلّ وطعم الهزيمة، لأنّ الجزائري ثائر حار، لا يرضى الذل ولا الشَّنَار.

وفي قصيدة "موطني" التي يقول فيها[2]:

موطني .. يا موطني.. يا مرتع الجمال
موطني.. يا قبلة الجلال والمآثر
انطلق فإننا بهمّة الأبطال
نرتقي ونبدع الأمجاد والمفاخر
كلّنا في وحدة المصير والنّضال
إخوة بأرضنا... وثائر لثائر
انطلق يا موطني لنصنع المحال

[1] – المصدر السابق (ديوان محمد بلقاسم خمّار) ص 503
[2] – المرجع نفسه ص386

دُمتِ يا ثورتنا..... عاشت الجزائر

فالشاعر يدعو الوطن الإقتحام الخطوب، فنحن معه لتوحيد الصفوف، فالأخوة تجمعنا لنثور ونصنع السيادة، لأن الجزائر لن تضعف ولن تهون وبهذا لا بُدّ من الثورة، إذ يقول في قصيدته " الثورة الدائمة"[1]

يا ثورة الأحرار لن تتوقفي مادام خلفك شعبنا وكرامة
الكادحون الصّامدون بعزمهم والفالح الصّخر العتيد حزامه
هم حارس الشعب الصبور وحولهم جيش المعامع ينبري صَمْصَامه
الدّرب مغلوم الجوانب مرعب ونشيد ثورتنا سمت أنغامه
فهنا تحلّق للنضال نسورنا وهنا يرفرف للسّلام حمامه
أفراحنا يا ثورتي لا تنتهي وجهادنا لا تنقضي اعوامه

فثورة الشعب الجزائري ثورة الأحرار لن تتوانى لحظة واحدة في دفع الأشرار، والثوّار هم حماة الدار الذين يُرجعون عِزّ الأرض والبلاد، لأنهم نسور النّضال وأسْد النِّزال، وفي هذه الأرض سترفرف رايات السّلام وتعود الفرحة والبسمة للوطن، لأن الجزائريين لن يرضوا الهزيمة.

وفي قصيدة بعنوان: " الزّحف الأصم" يجع فيها بين الوطن والثورة يقول[2]:

اليوم يصرخ في ضلوعي الغدر سهم أحمر
يا شهر تموز الجريح، رعاك شهر نوفمبر
ذكراك ملحمة الكرامة في الجزائر تزأر
يوم لهم ولنا بساح الذود يوم أغبر
الشعب بركان يدرك الرّاسيات إذا تفجّر
الشعب إعصار الوجود إذا تمرّد لا يفكّر
ياويح من زَلَّت به قدماه فينا أو تعثّر

[1] – المصدر السابق(ديوان محمد بلقاسم خمّار) ص196.
[2] – المصدر نفسه، ج02، ص548

ياويح أعداء الشعوي إذا الشّعوب مضت لتثأر

سِيري عروبتنا على إشراق وحدتنا المؤزر

سِيري عروبتنا فإنّ مبادئ الأحرار لن ترضى التّقهقر

وهج الدّماء يفور من أعراقنا شرراً وينفر

تحيا الجزائر حرة عربية والله أكبر

ستثور الجزائر ونوفمبر سيّدنا بالعزّة والكرامة، وإن كان المستعمر قد غزانا في ديارنا وحمانا في هذه الأيام، فإنّ الأيّام الأُخرى كلها لنا ونحن موقنون بالنّصر وسنزرع الغمد في صدور العادء، لأنّ دِماءنا كالبركان، لا نغفر زلّة المستدمر، وإنْ ثرنا لا نتقهقر، فعروبتنا زرعت فينا النخوة وعلّمتنا كيف نحصل على النّصر والعِزّة.

يقول الشاعر محمد بوزيدي في قصيدة له عنونها بـ: " الثورة السائرة"[1]

النّصر أعظم ما عساي أقول إنّ الزمان مؤرخ وكفيل

يا ثورة الأحرار زحفك مرعب للحاقدين وحيرة وذهول

ما رحت للتاريخ أذكر نارها ومعارك فيها الدّماء تسيل

فاليوم عهد للبناء وفخرنا بالمنجزات، وذكرها ليطول

فطموح الإنسان المقيّد في هذه الحياة أن يحصل على حريته ونصره، وهذا أفضل ما يتمناه المرء، وقد كتب التاريخ نصر الجزائر وسطّره الدّهر، وثورة مباركة كثورة الجزائر على الظّلم والضّيم أفزعت الأعداء وأخافت المستدمر، لأنّ من فجّرها كان ذا إيمان راسخ، فلذا تركت بصمتها في التاريخ، وتعلّم من صمودها الكثيرون، وذِكرُها باق ببقاء الحياة.

وفي قصيدة بعنوان: " ثورة جوان" يقول فيها[2]:

إيه أرضي يا بلاد الشهداء موطن العِزّ وأرض الكبرياء

جنّة الله ثراها وسماها حق لي فيها انتشاء الخليلاء

[1] – ديوان صوت الجزائر: محمد بوزيدي، دار الكتاب العربي، القبة– الجزائر، ط 01، 2011م، ص 110

[2] –المصدر نفسه، ص 159

نِفْطنا الأحمر من قاني الدّماء كعصير من دماء الشهداء
الأوراس فيها بِدِمانا إنْ ستبقى حُرّة فوق السماء
رَسَمَ الله على كلّ رُباها صورة الخلد وطهر الأنبياء
وسترى رضوان فيها نفحات عاطرات كدعاء الأولياء
بارك الله ثراها بعطور زاكيات من عبير الشهداء
أرض آبائي وأجدادي فداها كل عرق من حياتي ودمائي
شاءت الأقدار إذا عِشت أراها تصنع المجد يأيْد الأوفياء

فالشاعر يتغنى بوطنه وأرضه، أرض العزّة والكرامة ورمز البطولة والشّهامه، فهي جنة الله في الأرض، سُقيت بدماء الشهداء فأخصب، وفيها الأوراس منطلق الثورات ومهدها التي هام بها الشعراء وتغنوا بها، وقد فاحت أرض الجزائر بأريج وعطر الشهداء، فنحن نفْديها بأغلى ما نملك، بأموالنا وأنفسنا ودمائِنا، حتى نرفع الراية ونحقق الحرية ونُقَرِّر المصير، وهذا لن يكون إلاّ من قِبل الصّادقين الأوفياء.

ولمصطفى محمد الغماري قصيدة بعنوان: " عن الثورة والحُبّ" يقول فيها[1].

في الواحة السّمراء... حيث ربيعنا
غزل... وحيث دروبنا أنداء
في الواحة السّمراء يختلج الهوى
رفضاً... كما تتوثَّبُ الصّحراء
ونذوب في الشدو الخضيل قصيدة
في عمقها... تتمدّد السّمحاء
وتعانق السِّفر الطويل حروفها
فحروفها جمر يثور وماء
الرفض.... إنّا يا دروب حدوده

[1] – ديوان أغنيات الورد والنار: مصطفى محمد الغماري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 43– 44

إصراره... أبعاده السّمراء

غده على لهب الصمود وورده

لا الرّمال يثنيه.... ولا الظلماء

في الواحة السمراء أنت كتابنا

خضلاً... وأنت ضفافنا الخضراء

ومن الجزائر... يا جراح أحبّتي

يمتدّ رفض موغل مضاء

أنا يا حبيبة في مداك مسافر

جُزُراً ... وباق والوجود فناء

قسماً بقرآن الهدى يا أُمتي

إنّا على الدّرب الطويل دِماء

إنّا لنكفر بالحياة سخيّة

وشعوبنا – يا شمسنا– فقراء

ودروبنا ألم على أشلائنا

يحيا فدُكّي الليل يا أشلاء

وتفجّري ، فعلى ملامح غُربتي

شربت حناجري من دمي سوداء

وتفجّري يا أُمّتي... فعروشهم

وَهْمٌ يَشِيخ ... ولعنة شمطاء

في الجزائر الحبيبة تتعالى أصوات وأهازيج النّشيد، تتغنى بالوطن العزيز بالرغم من التدبير والكيد، وسيظل الشعب صامداً لا يُثَبّطه الظلام ولا الرمال ولا الحرّ ولا القرّ، وسيبقى ثائراً وعلى العهد صابر، ونُقسم بالقرآن المنزّل أن نفدي الأرض ولو بدمائِنا ولن نرضى العيش

الذليل، عيش الفقراء والمساكين، وسنسير على درْب الأجداد، ولن نخاف الأعداء لأنّهم لا عهد لهم ولا أمان.

ويقول في قصيدة بعنوان: " رسم على ذاكرة نوفمبر الأخضر"[1]

أهواك يا وطني وأعبد الله
والورد أعشقه والشمس أهواها
لا الليل يحجبها عنّي... فأنساها
ولا عوادي العدى تعدو... فأنعاها
أحببت يا وطني فيك جهاد الجدود
في كلّ درب دم في كلّ شبر شهيد
يموت كلّ الهوى إلاّ هواك الجديد
أراه ملء الرّبى أراه ملء الحدود
أحببت يا وطني فيك الورود الملاح
تنساب في خاطري فيستحمّ الصباح
وتنتشي في دمي حلماً ... فيغفو الأقاح
أحببت يا وطني تكبير أحرار
والجرح لمّا ارتوى بالنور والنار
يفكّ عنك الأسى يا غربة الدّار

كما يقول في مقطوعة شعرية أخرى:[2]

حتى رأيت العدى أشلاء إعصار
الحبّ يا وطني بعدُ هو الإسلام
مجاهدون به لتورق الأيّام
نحيا فواصله ولتسقط الأصنام
أصنام من سكروا بالجوع ....بالأوهام!

[1] – ديوان أغنيات الورد والنار (المصدر السابق)، ص 194

[2] – المصدر نفسه، ص 194

فداء الوطن دلالة على حبّه، وحبّه فطرة جُبِلَ عليها الإنسان، والحرية مطلب كلّ الأفراد، وما يسعى إليه الإنسان جاهداً أن يسير على ركب من سبقوه، ومع الوطن ننسى الهوى والعشق، ونُبْحِرُ في سماء الحرية، والدفاع عنه، فالوطن جميل بسمائه وأرضه، بأزهاره وورده ومسكه وأقحوانه، بتكبير أبطاله وتعظيمهم للجهاد وبحثهم الدّائب عن النصر والإِستقلال، والجهاد في سبيل الله والوطن أعظم غاية يَنْوِي الوصول إليها كل مسلم حتى يسقط الظلم والطغيان.

يقول صلاح الدّين باوية في قصيدة عنونها بـ: " آخر مرثية للوطن"[1]

أكتب للقضية.....

أكتب للإسلام والعربية المنسية

من واقعي....

أكتب عن مواجعي

عن وطني الضحيّة

فلا تلوموا ساداتي إذا أنا عبّرت

النار والبارود لا بالحروف الكوفية

إذا أنا انفجرت

وصغت من مواجعي مرثية

إذا أنا أسلمت أو كفرت

فإنّي لا أعرف الشعر سوى قنبلة ذرية

أو خنجراً يذبح جاهلية

ويضيف قائلاً: [2]

[1] – موسوعة الشعر الجزائري: الربعي بن سلامة وآخرون، مصدر سابق، ص 88

[2] – موسوعة الشعر الجزائري: الربعي بن سلامة وآخرون، مصدر سابق، ص 89

صعب عليّ ساداتي أن أكتب القصيدة

صعب عليّ أن أقول جملة مفيدة

في زمن اللاَّحبّ والمكيدة

فكم زجرت ساداتي عواطفي الشخصية

فما كتبت لحظة ما عشت عن الحورية

عن العيون الزرق والضّفائر السِّحرية

وما كتبت لحظة عن وجع الرّعية

عن سيدي السّلطان والمملكة المحظية

عن جنده الغُرف السّررية

أخاف إنْ عبّرت

بالشعر عن مواجدي

تغتالني قصائدي

فكل ما في وطني يصابر الحرّية

فالشاعر يرثي وطنه الجزائر، ويكتب عمّا يقاسيه من آلام ومواجع سبّبها المستدمر الذي زرع الكُره في أبناء الشعب الواحد فجعل كل واحد منهم يفكّر في نفسه ولا يهتمّ لأخيه، ويأسف لأنّه لم يستطع التعبير عن عواطفه وأحاسيسه لأنّ وطنه جريح وأبناؤه لا يهتمّون له بسبب انشغالاتهم الفردية

ولمحمد قاري قصيدة " نجمة واحدة ووطن واحد" يقول فيها: [1]

من منفاي أرسل بوحي

أصرخ للوردة للنجمة

للون الأخضر

[1] – نجمة واحدة ووطن واحد: محمد قاري، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، 2007م، ص 66

للميناء....للزيتون

للمطر المرّ الأصفر

اتركوا صوتي يضعْبُرُ أرض الدّهشة

يبعث في قلبي الوطن الحرّ

وقد أضاف قائلا: [1]

ثورتنا في الحرّ

والفكر... والتوت المزهر

من منفاي أرسل بوحي

لا تقطعوا أوراق الرّيحان

لاتحبسوا دمعات الأيتام

أصرخ للوردة ....للنجمة

للون الأخضر

لا تتركيني واسمعي صوت النداء

انزعي سيفك المسلول من رئتي

اتركي قلمي يغرّد .....ينزف

اتركيني للعشاق.....للشهداء

وفي كلّ حلم

أريدك أنت خليلة

ورغم المشانق.....

ورغم الحصار....

سأبقى على العهد سائر

[1] – نجمة واحدة ووطن واحد: محمد قاري، مصدر سابق، ص 68

وأقفز فوق الحواجز

وأبني لحلمنا سقفاً جميلاً

وطفلاً يقول الشعر جهراً

ويبني لكل الشعوب سلاماً

ويسكن بالشعر أغلى بلاطاً

وأفخم قصراً

فالمنفى يترك الإنسان يعيش بمعزل عن العالم، سواءٌ أكان المنفى داخل الوطن أم خارجه، يحرّم لذّة العيش ونعيمه من اخضرار للأرض التي منعت القطر، والشاعر يطلب من العدوّ أن يتركه يعبّر بحرّية عن رأيه، وألاّ يحرق الزرع والغرس، وأن يترك دمعات اليتامى تنسكب وتذرف، وأن يُخرج السيوف المغمدة في صدور الجزائريين الأبرياء،ويَدع الأقلام تُعبّر عمّا يخالج الصّدور.

وبحكم الزمان على فاقد الوطان بالتيه والضلال في نظر أحمد بلقاضي حيث يقول في قصيدة بعنوان: "الوطن الجريح"[1]

وبفقدك الأوطان نلت متاعبا حَكَمَ الزمان عليك أن تتعذبا

ولفقدك بشراك تلك مصيبة فأقم عليك مناحة ومنادبا

وطني الحبيب قد هويت كنجمة أركاننا قد زلزلت ومناكبا

لو أسكنوني الخُلد قلت جزائري والكوثر العذب المرىء مشاربا

فالإنسان بلا وطن كالجسد بلا روح، والوطن غال وعزيز وإِنْ زُعْرِع وسُلب لن يجد الإنسان ملاذاً أو مكاناً يأويه كوطنه، وإِنْ نُفِيَ سيحنُّ إليه حتى ولو أُعطي خير الدنيا كُله.

وتُعبّر الشاعرة جهاد الجزائري عن الأسى العميق والحزن الشديد تجاه وطنها الجريح فتقول في قصيدة بعنوان: " حلم وطن":[1]

[1] – الوطن الجريح(شعر): أحمد بلقاضي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 01، 2009م، ص 69– 70

يا وطني

يا صباح يوم طفولتي

غائب

لا يعرف الكذب

ولا طعم الخديعة

يا وطني

يا وجهاً مغادر

يشبه كل الوجوه

ويختلف عن الوجوه

يا ليالي السّهد

الوديعة....

يا وطني

يا صمت العيون الخائنة

كما يقول أيضاً: [2]

يا وهج الأماني.....

الآثمة البريئة...

يوم أصبح الحلم

قطوفاً مجنونة

يا وطني

أيُّها الحاضر الغائب

[1] – حكايا القلب والوطن (شعر): جهاد الجزائري، المؤسسة الصّحفية بالمسيلة، الجزائر، ط 01، 1430هـ – 2009م، ص 37

[2] – حكايات القلب والوطن(شعر): جهاد الجزائري، المصدر السابق، ص 38– 39

أبكيك

أشتهيك

فيصير ألمي ذكرى الفقراء

وخبر العشاق حلم

طقوساً محرَّمة

وخبايا جريئة

يا وطني

المطر حلم سماء

وجع الغيم

يا مخاص أَمَلي وأَلمي

يا بقايا صوري

وظلالاً مُضيئة

يا وطني

يا صباح يوم طفولتي

نسي الكذب

واحتراق الخديعة

في وطني

فالصباح يشبه الطفولة، فكلاهما يبعث على الأمل والبسمة، ولكنه أصبح غائباً بسبب ظلم العدو وطغيانه، وقد تغيّر كل شيء في هذا الوطن حتى اختلف عن باقي الأوطان، النهار مظلم والليل قاتم أسود، والأحلام أصبحت بعيدة المنال، والذكريات حرقة مؤلمة لا وقت للعشق ولا للحبّ، والأمطار صارت حُلماً فلم تشإ الأرض أن تنتج حتى أظلم كل شيء في هذا الوطن الغالي.

الفصل الثالث

أولاً: دراسة الديوان شكلاً (بطاقة تعريفية للديوان):

* **اسم المؤلَّف:** بوابات النور

* **اسم المؤلِّف:** عبد القادر بن محمد بن القاضي

* **دار الطبع:** المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر

* **سنة النشر:** 1990 م

* **رقم النشر:** 2123/85

* **الغلاف:** أبيض اللون كتب عليه:

  – **في الأعلى:** اسم المؤلَّف بخط متوسط

  – **في الوسط:** عنوان الدّيوان بخط عريض

  – **في الأسفل:** دار النشر بخط صغير

* **حجم الكتاب:**

  – **الطول:** 24 سنتيم

  – **العرض:** 16 سنتيم

  – **الإرتفاع:** 1.5 سنتيم

* **عدد صفحات الدّيوان:** 316 (ثلاث مائة وست عشرة صفحة)

* **عدد قصائده:** 83 (ثلاث وثمانون قصيدة)

ثانيا: دراسة الدّيوان مضموناً:

محتوى الديوان:

أ -لمحة عن حياة الشاعر عبد القادر بن محمد (كتب بقلمه رحمه الله)

ب – وقفه لدى البوابات الثلاث، تقديم: علي بن محمد وزير التربية سابقاً.

« كتب مقدمة هذا الكتاب، صديقي، سي علي بن محمد وزير التربية والتعليم الأسبق وهو دكتور دولة في الأدب العربي، كما أنه أستاذ في جامعة الجزائر، وهو أيضاً تلميذ سابق للشيخ عبد القادر بن محمد في ثانوية التعليم الفرنسي الإسلامي بقسنطينة»[1]

ج- **مواضيع الدّيوان:** قسّمت إلى ثمانية أبواب وهي كالآتي:

-**الباب الأول:** الإسلام والعروبة: تضمن أربع عشرة (14) قصيدة من بينها: إلى بني الإسلام، أرض النبي محمد ﷺ، من وحي المولد النبوي الشريف.

-**الباب الثاني:** الوطن؛ احتوى على (19) قصيدة منها: بلادي !، اليوم عيد لنصر الدين والعرب، نشيد جبهة التحرير الوطني.

-**الباب الثالث:** التربية والتعليم، وقد تضمن عشر قصائد (10) منها: ربيع الفصل وربيع العلم، أيها الطالب ثم ناج العلى، الشعر بالشعر.

-**الباب الرابع:** الطبيعة؛ تضمن أربع (04) قصائد فقط هي: مناجاة البدر، الربيع، الفراشة، ما أحلى أحلام الفجر.

-**الباب الخامس:** الصداقة؛ تضمن عشر (10) قصائد من بينها: رسالة إلى صديق، تهنئة بمناسبة زفاف، هدية من بيت إلى جدها.

-**الباب السّادس:** الوفاء؛ تضمن سبع (07) قصائد منها: على قبر ابن باديس، أمّاه كنت ولن تزالي هالة، رثاء محمود بن محمود رحمه الله.

[1] – إلى هؤلاء الذين أناروا لي عبقرية لسان العرب، ص 118

-**الباب السابع:** الذّكريات؛ تضمن تسع (09) قصائد، من بينها: سقى الله ذاك العهد، الحنين إلى باتنة، الحنين إلى العشرة الطيبة.

-**الباب الثامن:** حِكَم وتأملات؛ تضمن عشر (10) قصائد منها: الفضيلة، بين اليأس والأمل، جيرة شاعر.

من خلال المواضيع التي عرضناها يمكننا القول:

*إن الشاعر عبد القادر بن محمد وطني بامتياز، وقد عبَّر عن هذه الوطنية من خلال قصائده التي هدف إلى حبّ الوطن والدّفاع عنه وتطهيره من رجس العدوّ، وقد حصّص لهذه البوابة حظاً وافراً، بحيث لا يكتفي بالوطن الجزائري؛ بل يتعدَّى ذلك إلى الوطن العربي وهذا ما يظهر جلياً من خلال بعض القصائد كقصيدة: سلام على مصر، من الجزائر إلى السودان، تحية وهدية إلى اليمن والأمّة العربية، باقة أشعار من الجزائر إلى سوريا.

يقول علي بن فليس في مقدّمة ديوان " شعاع الأصيل": « ولكن الحديث عن الوطن قاسم مشترك في معظم قصائده، وذلك بروح المعلّم المربي »[1]؛ كما يقول: « ويستمر الشاعر على هذا النّسق يتغنى بالوطن وكفاحه، وثورة نوفمبر التي تُوّجت بالإستقلال وهو هذه القصيدة وغيرها يربط بين الجزائر وبين الوطن العربي ومآسيه ولا سيما قضية فلسطين السَّليبة»[2].

*وقد زرع فيه إسلامه وإيمانه حبّ الوطن العربي وحبّ العروبة، فلذا عنون الباب الأول بالإسلام والعروبة، وقد وجّه الشاعر فيه رسالة إلى بني الإسلام يدعوهم فيها إلى محاربة الجهل والضلال ويوقظهم من غفلتهم، كما بدا مادِحاً لخير الخلق ﷺ صاحب الجمال والعلّو والرِّفعة؛ يُعدّدُ خِصاله ومناقبه ويُبيّن فضله على الأُمّة، ويشكو إليه تشتتها، ويرجو

[1] – شعاع الأصيل (المرجع السابق)، ص 15

[2] – المصدر نفسه، ص 15

شفاعته، كما يتحسّر على ما يحدث في فلسطين من تمزيق للأشلاء وسَفْك للدماء. « وبالطبع فإن الوطنية والعروبة هنا لا تنفصلان عن الإسلام وهذا المزج ظاهرة في الشعر الجزائري ولعل شاعرنا يلتقي في هذا مع أستاذه " محمد العيد آل خليفة أي في الربط بين هذا الثالوث الذي رفعته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شعاراً لها: " **الجزائر وطننا، العربية لغتنا، الإسلام ديننا**"»[1]

*والشاعر من محبي التربية والتعليم، فقد كرّس حياته لذلك كما ابدا اهتمامه واضحاً من خلال العناوين المطروقة في هذا الباب، حيث يدعو الطلاّب إلى طلب المعالي ونيل المراتب الأولى، وهذا لا يكون إلاّ باقتحام الخطوب والتّغلب على الصعاب والسّفر من أجل طلب العلم لأنه أساس الحياة، والإنسان بلا علم كالجسد بلا روح.

وما يؤكّد هذه النظرة قول الأستاذ علي بن محمد: « اختيارك الشُّعبة التربوية نابع من طبيعتك نفسها، مُستجيب لأعمق ذبذبات النفس التي تعرف كيف تنتصر لأهوائها، وتنحاز إلى ميولها، ولقد كانت التربية قدراً من أقدارك، عشت لها وحبَبْت من أجلها هي والشعر توأم، لا سبيل عندك قط إلى العيش بدونهما، ولا بعيداً عن أي منهما، ولقد وَرَّثْتَ هذا الحبّ بعض تلاميذك الذين ترسّموا خطاك، ونسجوا على منوالك وكانت سعادتهم بهذا الميراث لا يساويها إلاّ شقاؤهم به كما كانت حالك معك»[2]

فهذا تصريح من تلميذه على حبّه التربية والتعليم، بالإضافة إلى تصيح تلميذه الآخر علي بن فليس حين قال: « ما يمكن وصفه بتاج تراث أستاذنا هو اقتناعه بقدسية فكرة التعليم التربوي كي تشمل أفضل ما في التربية والتعليم من معان، والهدف هو بقاؤهما أسمى مثالاً يُحْتذى به »[3] كما يضف قائلاً: « لقد كان واسع الأفق، وأسلوبه التربوي غاية في الدّقة

[1] – المصدر السابق، ص 17

[2] – المقال السابق: عندما يمضي الكبار في صمت ووقار.....، علي بن محمد (المقال السابق)ص29

[3] – إلى هؤلاء الذين أناروا لي ...مرجع سابق، ص 129

....شديد عندما يتعلق الأمر باحترام مبادئ التربية، متشدّد في طلب الجهد والتفكير، حسنُ الإصغاء ولطيف في آن واحد، مُتَّصف بأعزّ صفات الإنصاف متواضع في مُحيّاه، ذوّاق في طريقة لباسه»[1]

*كما نجد عاطفة الوفاء مُتَجَذِّرَة في ضمير الشاعر إِذْ يُخَصّصُ باباً للصداقة، يبعث فيه التهاني التبريكات لأصدقائه الذين فارقهم، يتمنّى لقاءَهم ويتحسَّر على غيابهم لأن الفراق مُرٌّ لا يطاق، كما يرثي بعضهم، حيث يقول في عبد الحميد بن باديس[2]:

خبّروني من الذي قاد شعري نحو لحد هناك بين اللُّحود؟
خبّروني من الذي قال الدّمع وللروح والعواطف جودي؟
لست أدري رحماكم خبّروني أشعوري أم روح عبد الحميد
إيه يا لحد جئت قربك أشكو ما بشعبي من البلاء الشديد
جئت أبكي مع الجزائر يا لحد بكاء على تراث الجدود
ربّ إنْ لم تصن رجائي فمالي غير دمعي على رجائي الفقيد
فحناناً على الجزائر والدّين حناناً على تراث الجدود

وغياب الصديق الصالح كغياب الضياء والنور الذي يهتدي به الإنسان، فالصحبة الصالحة صمّام أمانٍ، فلذا شبّههم بالشمس إذا حضروا، وغيابهم ظلام؛ كما يهنئ الأصدقاء الذين تزوّجوا ويدعو لهم بالزوجات الصالحات والعشرة الطيبّة والذرّية الصالحة والمعاملة الحسنة لكلا الطرفين ويبعث بطاقات الورود والتهاني في المناسبات والأعياد حتى تقوى العلاقات وتتوطّد.

« اهتم الشاعر بالمناسبات الكثيرة سواء أكانت وطنية أم دينية أم اجتماعية فهو مثلاً يرثي " محمد العيد" في إحدى قصائده، كما يرثي شخصيات أخرى، أو يسجّل مناسبات تعبّر عن صلته بأصدقائه، أو المربين والمعلمين وغير هذا»[1]

[1] – المرجع نفسه، ص 129
[2] – بوابات النور، ص 233

*وللشاعر ذكريات عاشها، يتذكر أيام الشباب التي ولّت ولن تعود؛ أيام العيش الرغيد وأيام الجود والطهر، وها هو يناجي الكون والدّموع قُذْرَف والقريض يراوده، ينادي الليل والنجومه ولكن ليس هناك من مجيب.

ثم يسأل الإنسان عن الزمان الماضي الذي ولّى ولن يعود، كما يبحث عن الرحمة والشفقة فلا يجد من يصغي أو من يلبي النّداء، فقد انتشر الظلم والجفاء وضاع الحقّ وتلاشى واختفى مجد الآباء والأجداد.

بالإضافة إلى وقوفه على الأطلال وبكاء الدّيار، فيحنّ إلى العهد القديم ويتحسّر على غياب الحلم والجود والمروءة والنَّدى، ثم يبكي غياب الإحسان والحكمة والفقه والأشعار...

يقول في قصيدة بعنوان: " يا صاح قف لحظة مثلي بباتنة"[2]:

هيّجت وجدي بأشعار لها نغم من وقعة باتت النيران تضطرم
نيران حبّ وأشواق إلى زمن ذكراه في القلب مثل الموج تلتطم
يا صاحِ دعني على الأطلال ودع دموعي على الأطلال تنسجم
واذكرْ معي زمناً واذكر معي وطناً فارقته وهو في الأحشاء مرتسم
وادع الإله معي يرحم أَوَائلها في جنة تحتها الأنعام والنّعم

ثم يدعو الله ﷻ ويطلب العفو، والرحمة، متوسّلاً بجاه الحبيب المصطفى ﷺ؛ وفي الأخير يرجو رضا الله ورضوانه وجناته، كما يحنّ إلى مسقط رأسه "باتنة" فيشبّهها بالنجم الذي يلوح في الأفق ثم يختفي وسط السحاب، ثم يتذكر أجداده الذين سلفوا فأين من كان يسكن تلك الدّيار ويتحلّى بالآداب والفقه والقرآن ويدعو لهم بالرحمة والرّضوان؛ كما يتذكر أيام العيد الذي يلوح علينا بأنواره عاماً بعد عام، يعيد لنا البسمة وأيام الصفاء، ويبعث الأمل

[1] – شعاع الأصيل، ص 18

[2] – بوابات النور، ص 269

والنقاء، ففيه يتذكر المرء خير البرية ﷺ وهديه ويحي سنته. كما لا ينسى فضل معلّميه ومربيه الذين أناروا له الطريق وذلّلوا له الصعاب حتى نال مراده، فالمربّين شعلة تضيء حياة المتعلمين فهم القدوة والأسوة. وفي الأخير يرجو أَنْ يرعاهم ويحفظهم في الدّنيا والآخرة مع الوالدين والأهل.

*ويرى الشاعر في الطبيعة ملاذ الآمن وحصنه الحصين فيدرج لها باباً، حيث نجده يناجي البدر ويسأله لماذا تعيش دائماً في العلوّ والتألق ونحن نعيش في الأسفل؛ تعيش متجوّلاً بين الكواكب والإنسان يراقب ظهورك وخفوتك، فلتعِنهُ على الذهاب والأياب وقت السفر، وتساعده على الوصول إلى المعالي، فيغابك يجعله يتحرّق ويبحث عن الأمل والتّفوّق، وتتضاعف همومه وتشق الكآبة طريقاً إلى صدره.

كما يصور لنا الفراشة وهي تنتقل بين الأزهار بلا تعب أو كسل، وهذا التنقل يجعلك تعشق الجري وراءها والرّكض دون ملل، فأحياناً تقطف الزهر، وتارة ترشف المياه، ولونها وشكلها وحركتها تعطي أبهى صورة للربيع.

وأخيراً نرى الشاعر حكيماً متأملاً قد خبِر الحياة وذاق حلوها ومرّها : « من جهة أخرى فإن الشاعر يتأمل الكون والحياة والطبيعة، ... مما يجعلنا نلاحظ تساؤلات تُذكّرنا بروح المهجريين ولا سيما إليا أبي ماضي، فهو مثله يتمنى أن يصبح الناس إخواناً، وأن تسود الأخوة بين البشر، يسوق هذا في صور فنية معبّرة مع جزالة في اللفظ ومتانة في السبك»[1]

[1] – شعاع الأصيل، ص 17

والحياة قد كشفت له عن حقائق وبصّرته بأمور كان يجهلها، فنجده يتحدث عن الفضيلة وهي تبكي وليس هناك من البشر من يرضيها، فالكل قد استهزأ بها ومرَّ دون البحث عن سبب بكائها يقول[1]:

إنَّ الفضيلة تبكي وهي سائرة بين العباد ترى من قال، أحميها
جُلّ العباد رأوها وهي باكية وليس منهم سليم الطبع يرضيها
جُلّ العباد مضو مستهزئين بها لا من يخاطبها لا من يدانيها
يا ربّ من لي بمن يرثي لأدمعها منهم ومن شرِّ هذا الوقت يكفيها

ثم يتحدث عن الحياة الإنسان في هذه الدنيا، فليس هناك من يدري ما سيحدث، ترى الشخص فرحاً اليوم وغداً يحزن، عيشه مزيج بين الصفو والكدر، والمرء دائماً يتمنى ويخطط ولن يكون إلاّ ما أدراه القدر، والسعادة في الدنيا لا تقاس بالمال أو الجاه أو الجمال، فكل واحد يعيش ويدرك ما قدّره الله له في هذه الحياة؛ فلذا ندعو الله ﷻ في أن يرفق بنا ويعطف علينا وأن يُيسّر أمورنا في الدنيا والآخرة.

وبعد ذلك ينادي البشرية، كيف تتخلى عن نور الإله جلّ في علاه وعن حبّه، ويحذّرهم من حبّ الفاسقين والظالمين والجري وراءهم، والإنسان إن كان حقّاً يُحبّ الله ﷻ فلا بدّ أن يطيعه ويعمل الصالحات ويرجع إليه، لأن من يتمسّك بالله ﷻ لن يضيع؛ بل سيجد الطريق آمناً، وتذلل له الصعاب وتفتح له الأبواب، إضافة إلى محبّة الحبيب المصطفى ﷺ وآل بيته الطاهرين وأصحابه الغُرّ الميامين، وكذلك محبّة الناس، لأنّ محبة الإنسان لأخيه الإنسان تبعد الضغينة والكره وتنشر السّلام والرّحمة بين العباد، فبهذا نفور في الدّارين ونسعد بالجنان قرب حبيبنا العدنان ﷺ؛ ويواصل تأمله في الخلق الله ﷻ وقدرته، فيصف الصحراء بشساعتها وبياضها الناصع ورمالها الشقراء ونخيلها الباسقات التي فتنت

[1] – بوابات النور، ص 285

قلوب العشاق وجعلتهم يحنون إليها، ثم يتحسّر عن الذين عاشقوا في الصحراء وتحمّلوا قساوتها، تحمّلوا الحرّ وقــرّها

أين من رافعوا راية الإسلام عزيزة وحاربوا مع الرّسول ﷺ أين طارق بن زياد وعقبة بن نافع؟ أين الفاتحين الذين مرّوا من هذه الأماكن الوعرة وجابوا الصّحاري والفيافي برمالها وأحجابها؟ أين الأبطال والبطلات الذين نذروا حيواتهم لله وللوطن وحاربوا العدوّ والمحن؟

ويخاطب النخل ويدعو أن يغني معه وينشد أعذب الألحان لعلذ وعسى تذهب الهموم والأحزان؛ كما يحمل الطيور سلامه حتى تبعثه للأهل والخلاّن، ويحدّثها بأنه ليس متشائماً ولكن لا بدّ من عودة المرء لأهله ووطنه.

وفي الأخير يدعو الله ﷻ أن يحفظ الصحراء بجبالها ووِهادها وجمالها وخيولها، وأن يرحم كلّ من أرجعوا له السؤدد والمجد والفخار، كما جادله البحر ببعض القريض، حيث وصف زرقته وهدوءه، ولكن الغريب أنه مليء بالحوادث، فالإنسان بقصده لأغراض متعدّدة، إما السباحة والإِستجمام والترويح عن النفس، أو للتأمل والتّفكر في بديع صنع الله ﷻ وقدرته على الخلق، أو قد يسترزق منه في حياته، كما قد يجعله ممرّاً ومعْبراً من مكان لآخر.

فهذه مواضيع الدّيوان حسب ما جاءت فيه، ولكننا حاولنا وضع تقسيمات أخرى خاضعة لأغراض معيّنة كالفخر والحماسة والنصح والإرشاد والرثاء...

والجدول الآتي يوّضح هذه التقسيمات:

الأغراض	القصائد	الصفحة

النصح والإرشاد	-إلى بني الإسلام	47
	-منظر الشبيبة	171
	-ربيع الفصل وربيع العلم	167
	-أيها الطالب، قم ناج العلى	169
الفخر والحماسة	-تحية المؤتمر العاشر للأدباء العرب والمهرجان الثاني عشر للشعراء	73
	-التعريب	75
	-بلادي بلادي	83
	-حدّث الشعب	93
	-كلّنا اليوم في الحِمى ثوار	99
	-مسيرة الجزائر	123
الوفاء للأصدقاء والأشخاص	- أصاح هنا اكر العلم مُعَلّم	117
	-يُغرطا	121
	-رسالة إلى صديق	209
	-تهنئة بمناسبة زفاف	215
	-رنّة رجعها الشاعر أحمد	217
	-عُد إلينا بصباح مُشرق	219
	-شكرٌ على الأماني	225
	-هدية شعرية	229
	-فضل المربّين	279
	-ترى أزعجته النائبات	281

الرثـــــاء	-إلى روح الشهداء	119
	-على قبر ابن باديس	233
	-رحم الله روحها في الخلود	235
	-سرْ يا علي إلى الخلود موفقا	239
	-أُمّاه كُنتِ ولن تزالي هالة...	241
	-رثاء محمود بن محمود رحمه الله	251
	-أرثيك يا نفسي بنفسي	253
المبـــاركات والتهاني	-أرض النبي محمد ﷺ	49
	-اليوم عيد لنصر الدِّين والعرب	89
	-تحية جهاد الجزائر (1)	109
	-تحية جيش التحرير الوطني	111
	-ارفعي الرّأس وسيري يا جزائر	115
	-نشيد الإستقلال	149
المـدح	-نشيد جبهة التحرير الوطني	159
	-وكل بلادي بالثقافة تسبق	173
الحنيـــن والـــذكريـــات	-سقى الله ذاك العهد	261
	-صور	165
	-ففي النغمات تحرير الرّقاب	267
	-يا صاح قف لحظة مثلي بباتنة	269
	-حينين	273
	-الحنين إلى باتنة	275
	-الحنين إلى العشرة الطيِّبة	277

المناجات والابتهالات	-ربِّ ناحتْ حمائم السِّلن	51
	-دعاء	105
	-مناجاة البدر	199
	-أنَّات قلب	211
	-قطار سباك الله إنك ظالم	213
	-تجوبون بالآراء.....	297
الشكوى والتحسُّر	-الفضيلة	285
	-حياة المرء في الدنيا	287
	-بين اليأس والأمل	289
	-الشاعر الهائم وربّة الشِّعر	293
	-حيرة شاعر	299

وصول	-قسنطينة نُحي المؤتمر العربي الثقافي السادس	57
	-قسنطينة تودّع المؤتمر العربي الثقافي السادس	61
	-سلام على مصر	63
	-من الجزائر إلى السودان	65
	-تحية وهدية إلى اليمن	67
	-سوريا	71
	-فما غلب الغيم الرياح الثوائرا! (1)	85
	-إقبال الحرية	95
	-أنّ الحِمى من عهد آدم واحد	97
	-ملتقى أساتذة اللغة العربية	175
	-يوم الدُخول إلى المدارس عيد	177
	-الربيع	201
	-الفراشة	203
	-الصحراء	303
	-الحدائق.....	305
	-أمامي بحر....	307
	-النجم الثاقب	309

ثالثا: تجليات الوطن والثورة في شعر عبد القادر بن القاضي من خلال ديوانه " بوابات النور"

إن المتصفح لعناوين هذا الديوان يجدها_ معظمها_ تجمع بين الوطن والثورة، الوطن الجزائري الذي عاش ويلات الحروب وذاق مرارة الاحتلال واكتوى أبناؤه بنار

الـغربة حتى ولو كانوا بين جدرانه، والثورات الجزائرية التي قام بها أبناء الشعب الجزائري من أجل تطهير هذا البلد العزيز من رجس الاستعمار الفرنسي.

وفيما يلي إثبات هذه الجدلية من خلال تحليل القصائد الوطنية والثورية قصيدة تلو الأخرى :

قصيدة "بلادي بلادي"[1]

يقول فيها الشاعر:

بلادي بلادي كبلوها بأغلال رمــوها بأهوال
وناح عليها النائحون كأطفال لـدى كـل أجيال
أأبكي؟ وهل يجدي انسكاب المدامع كضرب المدافع ؟
فلم يبق إلا أن تثوري وتصـــــعدي لأنبل مقصد
فثامن ماي يا بلادي شاهد وللشعب رائد
لقد حان وقت الزحف شرقا ومغربا تهـــــــيأ لتضربا

اختار الشاعر لقصيدته هذه بحر الطويل الممتد في موسيقاه، المناسب للأغراض الجادة كالفخر والحماسة ووصف الأحوال، وقد تحسر الشاعر على بلده الغالي الذي كُبِّلَ بالأغلال ، وتساءل هل البكاء والدموع يجديان نفعا ويعيدان مجد الأوطان ، أم لابد من ضرب المدافع والقذائف لرفع الذل والعار؟

فالحل الأمثل هو الثورة، لأن الوطن إذا حوصر لابد من ثورة ترفع القيود وترجع عز البلاد؛ فأحداث الثامن ماي أيقظت النيام وزرعت الوعي في أوساط الجزائريين، حركت النفوس وأحيت القلوب فهبوا في الشرق والغرب واثقين بالنصر، لأن الجزائري موقن بأن

[1] – المصدر السابق (بوابات النور)، ص 83

الوطن «لا يمثل التراب فقط بل يمثل كيان الإنسان الروحي والمادي ، واستمراره في الحياة ، بل انه رمز الحرية والانطلاق »[1]

كما يقول في قصيده بعنوان «فما غلب الغيم الرياح الثوائرا »[2]

سلام على من ينصرون الشعائر سلام على من يحفظون العشائرا
سلام على من جاهدوا في سبيلها ومرحى على من يكنزون المفاخرا
أيا شعر حبي العاملين تحيـــة مباركة واذكر نساءا حرئـــــرا
ولا تخشى كيد الظالمين فانمـــا خلقت عزيزا للحقوق مظاهـــرا
أترضى بأن تبقى البلاد فريسة يسومونها خسفا وقد كنت قاهـرا
فما أنا ممن ينكتون عهودهـــم لأجـل فلوس أو لأجل منابـــرا
ولكنني أرضى بعيش محـــــرر وان كان ذاك العيش مرا وبائـرا
بني الشعب هل في قلبكم وطنية؟ وهل صار ذاك العزم للمجد طائرا؟
فما لي أرى هذا التقاطع بينكـم؟ وبينكم هذا التباغض سائرا؟
فهيا معا نفد الجزائر بالدما وهيا معا نحي القرون الغوابرا
يكون لنا نصر مبين محقق ومن ينصر الرحمان يسعفه ناصرا؟

يشيد الشاعر بالأعمال الجليلة التي قام بها الثوار الجزائريون بالأحرار الذين تخلوا من متاع الدنيا وزخرفها وحاربوا البدع والأهواء بنية خالصة وعزيمة صادقة ، صدقوا الله فصدقهم وأعطاهم سؤلهم .

ثم يخاطب الشعر ويطلب منه ألا يهجره ويغرد معه من أجل بلده حتى يوقظ الضمائر.

[1] –شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: محمد زغينة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة ، 2005/2004، ص 59

[2] – بوابات النور، مصدر سابق ص 85

فمالُه وروحُه هانا لأجله ، ولن يبيع أرضه مهما كلفه الثمن ، وسيظل صامدا صابرا على الأذى من أجل وطنه .

ويواصل حواره مع الشعر فيقول له: اسأل أحداث الثامن ماي وما شهدته كل من سطيف وقالمة وخراطة ستجيبك الرياح ، ويجيبك التاريخ عن الذين ضحوا بأغلى ما يملكون، قدموا أرواحهم فداءا للدين والوطن ، والمستعمر الفرنسي لا مؤيد له ولا ناصرا ،فلا تخشوه ياعرب ،لأن نجمه سيأفل وترجع البسمة للجزائر ، وبعدها ينادي الجزائريين :هل سَرَتِ الوطنية في عروقهم ولامست شغاف قلوبهم ؟ وهل حبكم الجزائر خالص من شوائب الرجس والدنس ؟هل تأزرتم وأصبحتم أسودا على الأعداء ؟فلتستيقظوا من سباتكم لأن العدو حريص على تفرقكم وتلاشيكم ، وأنتم مسؤولون لا محالة عن وطنكم؛ هل دافعتم عنه؟ هل حاربتم الأعداء ؟ أم أثرتم عليه أنفسكم وأموالكم وشايعتم المستعمر واتخذتم بلده وجهة لكم ؟ فما قولكم لربكم ورسوله يوم القيامة؟، هل صنتم الحمى ؟ هل أعنتم المساكين والفقراء ؟ هل أديتم حق اليتامى ونصرتم الأيامي؟، فهذا تذكير لمن كان له قلب واع ، وكانت له ذرة من ايمان ، لكي يوقظ النيام ويحي الأنام.

فألف تحية وسلام لمن يحموا العروبة والإسلام، فق ولى زمن البكاء والحزن، والنهب لتحرير الوطن لأننا أحرار لا نرضى الذلة والهوان ، ونُلَبِّ نداءَ الإسلام، ونَفْـدِ الجزائر بالأرواح والدماء حتى نحقق العزة والسلام.

وفي قصيدة عنوانها «اليوم عيد لنصر الدين والعرب » يقول فيها[1]:

اليوم عيد لنصر الدين والـــــعرب	اهتز قلبي له بالشعر والـــطرب
اليوم شمس بدت في الأفق باسمة	رغم الرعود ورغم الليل والسحب
فباد ما كان في الأرجاء من ظلم	وعاد للشعب نور العز والحسب

[1] – المصدر السابق، ص 89

يا شعب كنت تعين البائسين على حرب الزمان وحرب الفقر والكرب
فكيف أصبحت مثل الصخر في صمم؟ والصخر صدعه: أمي أخاه أبي ...
إن الشباب لروح الشعب باعثة فيه الحياة بنور العلم والأدب
رحماكم أيها الشبان لا تدعوا عرض الجزائر في ذل وفي سلب
رحماكم وحدوا القوات وانتصروا للمجد، يا قوم إن المجد في صبب
رباه يكفي بلادي اليوم ما لقيت إذ كل ما لقيت لم يحص بالكتب
يا شعب إن الكفاح اليوم واجبنا من مات على الإسلام والعرب
يا شعب هذا نداء الثائرين علا: تحيا الجزائر في عز وفي حسب
قلب الجزائر بالإيمان ممتلئ مهما رمته ظروف الدهر لم تصب
يا مصطفى يا شفيع المسلمين غدا ما زال شعبك يهوى أفضل الكتب
أدعوك ربي بدمع الشعر مبتهلا تحيا الجزائر للإسلام والعرب

فهذه القصيدة قد أنشدت في ذكرى من الذكريات الوطنية أمام المناضلين الوطنيين بالعاصمة، يهدف فيها الشاعر إلى بعث الروح الوطنية وتقوية النزعة الثورية ، كما يبشر فيها المواطنين بالعيد الوطني وما فيه من بسمة ونور وأمل للجزائريين ، ويدعو الشعب للعودة الجادة إلى العلم والأخلاق والأدب حتى لا يبقى مثار سخرية بين الأمم، ويعتذر فيه لأن دمعة لم يشأ إلا أن ينسكب وينهمر كالسيل الجارف بلا توقف ولربما فيه الدواء والشفاء.

ثم ينتقل إلى فئة الشباب فيمسها بالورود في التفتح والانبلاج، كما ينعتها بالموج المتلاطم الذي يبغي الوصول إلى مبتغاه، لأن الشباب هو الفئة المستهدفة في المجتمع وهو من يعوّل عليه في المستقبل لكي يرجع العز والأمل والنصر للأمة.

وفي الأخير يضرع إلى الله عز وجل ويدعوه أن يزيل البأس عن بلاد الجزائر، فقد ثبطت العزائم وعجز الشعر واللحن عن استرجاع مجد الوطن، ولم تبق سوى الدموع تذرف هنا وهناك، فلنقبل على الثورة وتحرير الوطن، ولا نهاب الموت لأنه شرف في ساحة الوغى واستشهاد في سبيل الله والإسلام والعروبة، ولأن الجزائر أرض الإسلام والمسلمين ولن يتخلى أهلها عن دستورهم الخالد، فالجزائري لو خيّر بين أموال الدنيا وبين تحرير وطنه من رجس

الاستدمار لاختار الثانية لأنه معتصم بالله متوكل عليه في السراء والضراء، ولأن قدوته محمد ﷺ شفيع الأنام، وسيبقى صامدا إلى أن يشّع فجر الإسلام وتشرق شمس الحرية.

4) وإلى قصيدة بعنوان: «حدث الشعب» يقول فيها[1]:

حـــدث الشـــعب ولا تـــخـــش اللّئاما فلقـــــد مـــحـــمـــل آلامـــا جســـامـــا
حدث الشعب عن الذكرى التي أيقظت في القلب أشواقا عظاما
كل من خاض الوغى لا ينثني وغدا يقتحم الموت اقتحاما
كل من ضحّى في بمال ودم في سبيل المجد لا يرضى المناما
رفع الراية فاختالت على أنجم الليل جمالا واضطراما
وغدا بين الأعادي جاهرا موطني مادمت حيا لن يضاما
أيها الشعب الذي علقها ورجا منها لقاء وابتساما
كسر القيد وحرر جيدها واحمها إن كنت منها مستهاما
لا تخف من عدّه الظلم فقد كان إيمانك سيفا وسهاما
خض غمار الحرب لِاسترجاعها واعتصم بالله في الهول اعتصاما

يحدث الشاعر في هذه القصيدة الشعب الجزائري عن الذكريات الوطنية التي أحيت القلوب وأيقظت النفوس وعالجتها من أسقامها، كما يحي الذين أخلصوا في حب الوطن وخاضوا المعارك والحروب ولم يخافوا الموت وضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ورفضوا الإدماج والمساواة وأبوا إلا الاستقلال، وأقسموا ألا يتخلوا عن تحرير الوطن حتى يرفعوا راية النصر، الراية التي زيّنها الهلال والنّجمة فكشفت عنا الغُمّة، بعد أن كانت الدنيا ظلاما دامسا وسوادا حالكا، والنصر لن يأتي بالتخاذل والكسل وإنّما يكون بتشهير (السيف في وجه العدو، والاعتصام بالله ﷻ في الأهوال والمصائب.

ومن الحروب والمعارك إلى الحرية، حيث يقول في قصيدة بعنوان: «إقبال الحرية»[1]

[1] – المصدر السابق، ص 93

أقبلت بين موكب الأحرار مثل شمس وضيئة الأنوار
يستحي من جمالها كل ورد فتح الليل وجهه للنهار
فإذا بالنساء يرسلن ألحانا على الحاضرين والزوار
وإذا بالسيوف تلمع لمعا خاطفا للعقول والأبصار
موطن المجد كم تذكرني أرضك فخر الأمجاد الأحرار
رفعوا راية الشهامة والإقدام و التضحيات والإيثار
كتب الدهر مجدهم صفحات بحروف من فضة ونضار
موطن الحسن كما يهيج أشواقي جمال الرسوم والآثار
تركت في نفوسنا ذكريات خالدات على مدى الإعصار
صانك الله يا سطيف من الأخطار والنائبات والأشرار

فالحرية لم تخطئ موضعها وإنما أتت للأحرار الذين طهروا الأرض من الاستدمار،جاءت مثل شمس النهار،فإذا بالخيول في ساحة الوغى، والسيوف تومض كالضياء والبارود كالشعلة من النار،و الفتيات يرقصن ويغنين ويأكلن ما لذ وطاب من صنوف الطعام.

ثم ينادي الشاعر سطيف بلاد الجود والكرم والشجاعة والشهامة،أرضه جنة خضراء وتربته رمال شقراء،فهو مأوى الأحرار وملاذ الأخيار،رايته ترفرف وتعلو،تمجد الحرية وتنبذ العصبية،حتى سطر الدهر مجده وأعلى قدره وحفظه الله من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

«الحرية والإنسانية أصبحتا وجهين لعملة واحدة هي:الكيان الإنساني الحق وفي فلسفة الأدب أصبح صراع الإنسان صراعا من أجل الحرية ومهما اختلفت المفاهيم عن الحرية فهناك حد أدنى منها لا يستطيع أغنى الطغاة أن يتحداه،وإلا انقلب الأمر إلى ثورة عارمة ضده»[2]

[1] – المصدر السابق، ، ص 95

[2] – موسوعة الفكر الأدبي: نبيل راغب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 2000، ص 172

فالإنسان بلا حرية جسم بلا روح،لأن القيد يفقدك السيطرة والتوازن في الحياة، وإذا كانت الحيوانات والطيور لا تحتمل الوثاق والقيود،فإن الإنسان من باب أولى، وكيف لا وهو سيد هذه المخلوقات.

يصف عبد المالك مرتاض الشعب الجزائري بأنه: « شعب ينتزع أهليته للحياة والحرية والسيادة والمجد »[1]. وهذا لأنه موقن بأن السيادة والحرية لا بد أن نستردهما بالقوة، وأن العدو لو كان ينوي إعطاءها له لما حاول سلبه إياها.

يقول مولود فرعون على لسان بطل رواية "**الدروب الوعرة**" وهو عامر الذي كان يقطن في فرنسا: «نحن قوم نعتزّ بأنفسنا، وهذا ما يجعل أبناء بلادي في جميع العصور يفرّون من السهول ويعتصمون بالجبال المنيعة ويتركون الأراضي الخصبة ويقيمون في الغابات الكثيفة ذات التربة المليئة بالحصى والأحجار، إننا نعتزّ بأنفسنا ونتمسك بحريتنا ولا نكترث بالبؤس والشقاء»[2]

فهذا هو المواطن الحق الذي يصبر على البلاء ويتحمل الصعاب ولا يبالي بالعيش في الجبال أو الهضاب، المهم أن يتحصل على حريته واستقلاله؛ لأن الحرية شيء يطمح إليهكل مخلوق على وجه هذه الأرض ، فهي الروح والقلب، بل هي كل شيء في هذه الحياة.

ولأن الإنسان يناشد الحرية دائما، فهاهو الشاعر يخاطب الطير في هذه القصيدة المعنونة "إن الحمى من عهد آدم واحد..."[3]:

يأيها الطير الجميل تعالا واسمع من الصبّ الغريب مقالا

[1] – القصة الجزائرية المعاصرة: عبد المالك مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب،د. ط، 1990، ص 63

[2] رواية الدروب الوعرة: مولود فرعون، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 5، 1990، ص 163

[3] – بوابات النور (مصدر سابق)، ص 97

فلقد نأت ليلاي بعد وصالا ياليت شعري هل تعيد وصالا؟
رفرف على حريتي وانحرف لها لحن الوفاء وصف لها الأحوال
سلم عليها يا رفيق وقل لها أضحى أليفك من هزاك خيالا
وأعد لي الأخبار كيف وحدتها هل حققت يا طير لي الامالا؟
حريتي أو ما دريت بأنني ألفيت عيشي في الفراق محالا
إن الحمى من عهد آدم واحد من ذاقه منا سما وتعالى
فكأنه بين الحمائم طائر يشدو بعد الغدوات والآصال
وكأنه بين المنابع منهل يروي قلوب الظامئين زلالا
وكأنه بين المعازف نغمة تحيي بأروع لحنها الأجيال.....!

فالشاعر هنا يوضح تأثير الهوى على قلب الإنسان، فينادي الطير ويشكو له ألم البعد والفراق، بعد الحبيبة وما تتركه في القلب من تباريح الهوى ودموع النوى، وكيف أنها تركت قلبه هائما مريضا، لأن بعدها زاد الهوّة بينهما بعد ما كانت تسدل عليه نورها الساطع الذي يمحو ويزيل عنه غياهب الظلم، كما يدعوه أن يبلغها ما يجده من الشوق والصبابة، وهل هي حافظة للعهد والميثاق رغم البعد والفراق، وأعلمها بأنني ما نقضت العهد وسأظل أذكرها ليلا ونهارا، صباحا ومساءً، وأنا توّاق لرؤيتها وعودتها لأنّ العيش من دونها مستحيل.

ولأنّ الجميع معني بحماية أرضه فقد عنون الشاعر هذه القصيدة بـ: «كلنا اليوم في الحمى ثوار»[1]

أخرجونا من الديار وجاروا بعد ما في أمر الجزائر حاروا
جعلونا مثنى ثلاثي رباعى ثم سلقوا كأننا أيقار
من سؤال ومن هوان ومن تفتيش جيت خلال ذاك احتقار
قد رضينا بالذل إن كان فيه للحمى عزة وفيه افتخار
واستطبنا كل العذاب لتحيا أمّة قد أذلها استعمار
إيه ((أوراس)) حدث الشعب عمن رفعوا راية الكفاح وثاروا

[1] – المصدر السابق، ص 101

حدثي يا جبال جرجر عمن أطلقوا النار في الذرى وأغاروا
إيه يا قمّة ((النمامشة)) الأحرار كم جاهدت بك الأحرار
يا تلمسان أنت للضاد والإسلام حصن وللعروبة دار
والفتى والفتاة كلهم والشيخ مع الجيش والبنون الصغار
كلهم جاهدوا جهادا عظيما وعلى العرض والكرامة غاروا
كل ميت على الجزائر حيّ قبره عند كل جيل يزار

فالشاعر يتحدث عن ألوان التعذيب والذل الذي لقيه الشعب الجزائري بعد مقتل ضابط فرنسي، وقد فتّشوا وعذّبوا وأخرجوا من ديارهم كما تساق البهائم، ومع ذلك ظلوا صامدين، لأن حبّ الوطن زرع فيهم هذه النخوة فهبوا ثائرين لنصرته، ولم يتوانوا لحظة واحدة في دفع الظلم حتى بزغ فجر الحرية.

ثم يخاطب الأوراس ويدعوه أن يحدّث الشعوب عن التحدي والصمود، وينادي تلمسان رمز العروبة والإسلام وقسنطينة رمز الطمأنينة والأمان، فكل أرض الجزائر رويت من دماء الشهداء الأبرار، فأخصبت وأنبتت جنّات ذات ثمار وأزهار، والجزائريون اتحدوا صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً، صنعوا مجد الوطن وتركوا ذكرهم للأجيال يضرب به المثل.

وبعد هذه الحرب الضروس يتحدّث الشاعر عن الحرية، فيقول في قصيدة بعنوان: «الشاعر والحرية»[1]

الشاعر

يا طير ما لي أراكا حرمتي من صداكا
قد كنت عندك خلاّ وكنت عندي ملا كا
فمالك اليوم تجفو والقلب يصلي هواكا؟
ذهلت عنّي زمانا وغبت عنّي كذاكا
هنا غريب كئيب متيّم قد رجاكا

[1] – المصدر السابق، ص 99

وعاشقون حيارى وبائسون هناكا
هذي دموع جوار من صبيبة تتباكا
جوع عري وجهل ألقيت عليهم شباكا
وتلك زفرة شعب من قيده يتشاكى
فصرت أخشى عليه من الشقاء الهلاكا

الطير[1]:

لا تخش شيئا وصابر فالله للشعب ناصر
ألم تعظك قرون بما حوته، غوابر؟
سلها عن الجور سلها هل دام في الأرض جائر؟
ترابص الله قدما بالظالمين الدوائر
فأصبحوا اليوم درسا وعبرة للبصائر
فكل من رام بطشاً بأرضنا فهو خاسر
والشعب إن ثار يبغي حرية فهو قادر
إنّ الإله معين لكل من هو ثائر
فقل معي اليوم جهرا تحي بلادي الجزائر

الشاعر والطير معاً[2]:

تحي الجزائر حرّة في جبهة الدهر غرّة
ودمت بالشعب فيها في عزّة مستمرّة
إن ننس لا ننس قوماً ضحّوا بآخر قطره
يارب بارك فِداهم واغمرهم بالمسره
جيشاً وشعباً وأرضاً وجبهة مشمخرَّه
وارحم ضحايا حمانا في كل جيل وثورة
فأنت وحدك تجلو عن الأنام المضرَّه

[1] – المصدر نفسه، ص 100

[2] – المصدر السابق، ص 102

بجاه أحمد لمَّا خاطبته عند سدرب

فالشاعر يخاطب الطير بقوله: لم كل هذا الصّد والهجران وقد كنَا أصدقاء لا نبتعد ولا نفترق، فغيابك أذهب عنّي النوم وتركني وحيداً، فلتعد لي البسمة عن طريق اللحن والنّغمة، لأن الجزائر كلها أصبحت بائسة مريضة تشكو الجوع والفقر والظلم والعري وترجو منك العلاج والدّواء من السّقم.

فيجيبه الطير:

اصبر واحتسب الأجر عند الله، فالنصر آت، ولنا في القرون السالفة مواعظ وعبر والحق حتما سيعلو والباطل لا محالة زائل والظالم لا بد هالك ومن ينوي قهرنا فما يدعيه باطل، والثوار سيرجعوا عز البلاد لأنهم نمور أشاوس وحب الوطن في قلوبهم راسخ فلا تقلق وأنشد معي: تحيا بلاد الجزائر"

فيتحدثان معا:

تحيا الجزائر، ويحيا شعبها وثوارها الذين دافعوا عنها إلى نبض في عروقهم. فيا رب بارك مسعاهم وسدد خطاهم واحفظ عرضهم وأرضهم وارحم شهداءهم فأنت وحدك القادر المسدد والمعين والهادي إلى الطريق المستقيم.

ومن هذا الدعاء إلى قصيدة بعنوان «دعاء» يقول فيها[1]:

رب إني وجهت وجهي فتقبل تضرعي ومنايا
ارحم الشعب والجزائر ممن ظل يسقيهما كؤوس المنايا
فلقد أهدرت دماء وفاضت عبرات على الربى والثنايا
ولقد أحرقت ديار وأكواخ وهامت مع البنين الصبايا
فتلقتهم القذائف حتى أصبحت أرضنا قبور الضحايا

1 – المصدر السابق (بوابات النور)، ص 105

فسلام على المجاهد فيها وعلى الراجلين أزكى التحايا
وسلام على الجزائر مهد الفخار والمجد والابا والمزايا

فأكف الضراعة إلى الله عز وجل دائما مرفوع بأن يرحم الله تعالى الجزائر وشعبها ويخلصهما من كل ظالم قد سقاهما جرعة وأذاقهما طعم الذل ؛ وذلك من خلال تخريب الديار وإراقة الدماء وإطلاق القذائف والرماح حتى أصبحت الجزائر عبارة عن قبور وأشلاء ، فألف سلام وتحية للمجاهدين الالباة ، وألف رحمة على من زهقت أرواحهم من أجل البلاد، وتحيا أرض السؤدد والفخار.

وبعد الدعاء لا بدّ من تحيّة العلم رمز الأمن والسلام، حيث يعنون هذه القصيدة بـ: «يا أيها العلم»[1]

يا أيها العلم العزيز على الحمى رفرف على أرض الجزائر مكرما
قد أقسم الثوار من أبنائها أن يرفعوك مبجّلا ومُعظّما
فانشر على الدنيا هلا لك ساطعا وينجمك الدمّاع باه الأنجما
إن الربيع حباك خضرة فصله وحبتك حمرتها من الأسد الدما
وأعارك السلم الجليل بياضه فإذا بوجهك قد بدا متبسّما
أبشر فإن النصر أشرق نوره متألقا كالشمس في كبد السما

فلترف وتعلو يا علم فالثوار أقسموا ألا تنحني ولا تدنو؛ بل ستظل شامخا مشمخرا تنشر النور وتبعث الضياء، فمن النبات أخذت الاخضرار، ومن دماء الأسود الاحمرار، وأخذت البياض من السلم حتى شع نورك واتضح نجمك وبزغ فجرك،

وإلى قصيدة بعنوان: « تحية جهاد الجزائر» يقول فيها[2]:

لكل يوم عن الأبطال أخبار هذا شهيد وهذا زانه الغار

1 – المصدر نفسه، ص 107

2 – المصدر السابق، ص 109

وذا على جرجر كالنمر متمكن وذاك في جبل الأوراس مغوار
بشراك يا شعب هذه ثورة سطعت منها على الأطلسين اليوم أنوار
لبت نداءك أبطال كأنهم أسد العرين على الأشبال قد غاروا
ماذا أسمي؟...فكل الأرض معركة ومن أسمي؟....فجل الناس أخيار
ومن أهني من الأبطال؟...كلهم أبناء إفريقيا أسد وأنمار
المغرب العربي اليوم في فرح والشرق في مرح للبشر مضمار
الله أكبر إن الحق منتصر الله أكبر ما للحق إدبار
تحي الجزائر في عز وفي شرف وليحي شهر بها أحيته ثوار
وليرحم الله من ضحوا بأنفسهم في جنة تحتها ظل وأنهار
إن الجزائر للإسلام معتمد وللعروبة حصن ليس ينهار
إن الجزائر للأعداء مقبرة في كل عصر من التاريخ آثار
يارب صنها لتبقى رمز مفخرة وجنة من جنان الله تختار

فهؤلاء الأبطال الثوار الذين حرروا الأبطال ودافعوا عن الديار، فالبشرى لك يا جزائر يالثورة التي بعثت الأنوار، والشعب لبى نداء الوطن رغم الغارات التي شنها المستدمر ضده والطائرات المحلقة فوقه، ولكن الأمل سار في صفوف الجنود رغم الأغلال والقيود.

والحرية عيد للجزائر ولكل من ناصرهم وأيدهم، والفرحة للمغرب والمشرق معاً، والحق مقبل والباطل مدبر؛ فلتقومي إلى النصر يا إفريقيا وتستمري مع الركب وتواصلي المسير ولتحقيقي المجد وترجعي العز كما أرجعته تونس والمغرب، وتحي الجزائر حرة مستقلة لن تبيد، ورحم الله شهداءها وحرر أرضها ومن رجس الأعداء طهرها وخلد التاريخ ذكرها وقدس أبطالها وعظماءها.

وها هو الشاعر يحي جيش التحرير فيهنون قصيدته هذه بـ: «تحية جيش التحرير الوطني» التي يقول فيها[1].

1 – بوابات النور (المصدر السابق)، ص 111

هيا بنا للمعالي هيا بنا للنضال
هيا بنا اليوم نمشي مع الألى في الجبال
لنسترد فخارا وسؤددا للهلال
ونرفع النجم رفعا فوق النجوم العوالي
جيش الجزائر حر جيش الجزائر غال
مستبسل وفدائي في كل حين وحال
حيوا جنود النضال حيوا أسود الجبال
قوموا جميعا كأسد ضد الأذ والنكال
حرية الشعب تهوى من بالردى لا يبالي
من مات فهو شهيد من عسكر أو أهالي
عند الإله سيحظى بالوارفات الظلال
جيش الجزائر حر جيش الجزائر غال
مستبسل وفدائي في كل حين وحال
حيوا جنود النضال حيوا أسود الجبال

فالدعوة موجهة لجيش التحرير أن يهب لنصرة الوطن وإحداث ثورة ترجع مجده وسؤدده حتى يرفرف العلم في ربوعه ويحييه ويبشره بالأمل والنصر، فالحرية تحب كل من لا يخاف الموت ولا يهابه، وتحي كل من مات في سبيل الله والوطن ويضع عليه لقب الشهيد سواء مات في ساحة المعركة أم في بيته أم في السجن، فكل منهم سيجد مراده عند ربه، يظله الله عز وجل تحت عرشه، ويسقيه من كوثره ويخلده في نعيمه؛ فلنحييهم لأنهم ضحوا بكل غال وإلى بحر الرقة والأفراح، بحر الرمل، مع قصيدة «ارفعي الرأس وسيري يا جزائر»[1]

ارفعي الرأس وسيري يا جزائر فلفت نلت من النصر المفاخر
كلنا ثرنا رجالا وحرائر كلنا في جبهة التحرير سائر

1 – المصدر السابق، ص 115

ارفعي الرأس وسيري يا جزائر

عقد الشعب لواء للجهاد مقسما بالله أن تحيا البلاد

اقصفي مثل الرعود القاصفات واعصفي مثل الرياح العاصفات

ارفعي الرأس وسيري يا جزائر

قد سقينا بدماء الشهداء كل شبر منك يا أرض الفدا

فرأينا النصر كالفجر بدا نوره يمحو دياجير العدا

ارفعي الرأس وسيري يا جزائر

حرّقوا أو مزّقوا منا الجلود فلقد قمنا لتحطيم القيود

ولقد ثرنا كما ثارت جدود قبلنا مثل نمور وأسود

ارفعي الرأس وسيري يا جزائر

هذه الأجساد ترمي في اللحود وذه الأرواح تسمو للخلود

رفرفي فوق الضحايا يا بنود فلقد ماتوا لنحيا ونسود

ارفعي الرأس وسيري يا جزائر

فيا جزائر ارفعي رأسك وافتخري بأبنائك الأحرار الذين وقفوا في وجه العدوّ الغدّار وحرّروها من كيد الفجّار، فلتثوري يا جزائر كالرياح فنحن شعب لا نهاب الجراح وسنرجع مجدنا بالكفاح، شهداؤنا سقوا الأرض بالدّماء فأنجت الزهر الفوّاح، وأفعالكم المُشينة يا أعداء ستبعث فينا النخوة والحميّة، وتعلّمنا الصبر على الرزية، والإصرار والعزيمة، وأرواح الشهداء ستعلو للسماء وتبقى لنا الجزائر فيها نسود ونعيش بلا قيود.

وبعد زرع الروح الوطنية والحصول على الحرية لا بُدّ من نشر الوعي والتعليم، لأن فضل العلم على البشرية يستحقُّ الإشادة والتنويه، وهذا ما يذكّرنا به شاعرنا المعلّم والمربَّى من خلال قصيدته: «أصاح هنا ذكر لكلّ معلّم»[1]

أصاح هنا ذكر لكل معلم قضى نحبه في ساحة العزّ والمجد

فقف لحظة حتى نوفّي حقّهم فكم وقفوا في الليل والحرّ والبرد

1 – المصدر السابق(بوابات النور)، ص 117

وقل ربّنا ارحمهم كما حرّروا الحمى وأسكنهم رحماك في الجنة الخلد

فاحترم المعلم وتبجيله واجب على المتعلمين، لأن المعلمين والمربين هم الذين سهروا على تربيتنا وتثقيفنا وقضوا حياتهم في العطاء والجدّ؛ فلنقف لهم مخلصين لأنهم هم السحابة التي تبشّر بالغيث العميم، تبسط جناحيها لتجول بنا في واسع هذا الكون وهم من تحمَّلوا الحرّ والقرّ، فلندعوا الله عزّ وجلّ لهم بالرحمة والغفران، وأن يسكنهم دار الرّضوان ويفتح لهم أبواب الجنان.

كما لا ننسى شهداءنا الأبرار وما قدّموه من أجل الوطن، فهذه قصيدة بعنوان: «إلى روح الشهداء» يقول فيها[1]:

رحم الله أضلع الشهداء وسقاهم بأدمع الأنداء
خفف الله عنهم كل ذنب ووقاهم، لوافح الرضاء
ضربوا في الجهاد أعلى مثال والفدا بالنفوس أعلى فداء
قرضوا الله في المعارك قرضا حسنا واهتدوا بنور السماء
منذ عهد الأمير والأرض تهتوّ اهتزازاً في عزّة وإباء
طُف بوهران والجزائر والأو راس أخت القبائل الشمَّاء
وتلمسان معقل العزّ غربا وقسنطني في شرقها البهجاء
فإذا المسلمون في هذه الأرض يثورون ثورة النبلاء
كلهم جاهدوا جهادا عظيما سبعة بعد عشرة في الفداء
رحم الله روحهم في خلود إنهم هنده من الأحياء
عده يرزقون من كل خير ولهم عندنا عظيم الثناء
كل ميت على الجزائر حيٌّ ما توالت حوادث الآناء

فأول ما يفتتح به الشاعر قصيدته الدعاء لهم بالرحمة وأن يسقيهم الله عزّ وجلّ من أنهاره ويخفف عنهم من ذنوبهم ويقيم حرّ جهنّم فقد ضربوا لنا أزوع الأمثال نظراً لما قدّموه من الأنفس والأموال، باعوا أرواحهم رخيصة في سبيل لله وكان الهادي لهم هو الله،

1 – المصدر نفسه، ص 119

فخلّد الزمان والمكان ذكرهم، نوفمبر شاهد على ذلك؛ بل حتى الأوراس الذي حافزا على القتال، وكل بلد في الجزائر يحفظ ذكرهم ويعظم قدرهم شرقا وغربا، وجنوبا وشمالا؛ بل ويكرّم أهليهم وأبناءهم على مرّ العصور والأزمان.

كما يتذكر الشاعر أمير الجزائر وقائدها «الأمير عبد القادر الجزائري» الذي كان بطلا مغوارا، شديدا على الأعداء، رحيما بأبناء وطنه؛ فسلام على من كان وفيّا لوطنه وأبلى البلاء الحسن فكان كالبدر ينير غياهب الظلم، وسلام على من شاركوه هذه الحرب وأعادوا البهجة والسرور لأرض الجزائر، فهم فينا شهداء وعند الله أحياء يرزقون فرحين، فلهم منا كبير الثناء.

ومع البحر الأكثر لينا وطواعية للنظم، بحر الوافر، يقول الشاعر في هذه القصيدة المعنونة بـ: «يغرطا»[1]

يغرطا نم هنيئا يا يغرطا! لقد سطرت للأجيال خطا
وقد أصبحت في التاريخ نجما تلألأ نوره من فوق سرطا
يغرطا! كنت للرومان خصما وللشجعان شمسا لن تغطى
وقد كان الدجى أرضى سدولا وناء بكلل لما تمطـــــى
فرددت الجبال صداك حتى تفجر من ذري الأوراس سخطـا
وتلك هي الشعوب إذا أرادت حياة كان نصر الله معطـــى
فهاهي ذي البنود مرفرفات بمشرقها ومغربها ووسطـــى
وهاهي ذي مدارسنا تسمت به شكرا وتذكارا :"يغرطـــا"
لنسع اليوم في طلب المعالي لندرك من ضياء المجد قسطـا
فإن العلم للإنسان نــور يضيء الروح والقلب المغطـى

فالشاعر يبشر يغرطا بأن ينام قرير العين لأنه رسم للأجيال معالم الحياة وذلل لهم الصعاب حتى أصبح نجما ساطعا ونورا لامعا ، حيث قهر الرومان وأيد الشجعان حتى

1 – المصدر السابق، ص 121

زلزلوا الأرض ، وكان المنطلق هو الأوراس فالشعب إذا أراد الحياة لابد أن يسعى ، بل يكد ويشقى.

فلنسع جاهدين حتى نصل إلى المجد والعلا، وهذا لن يكون إلا بالعلم النافع والتحصيل الجيد والفهم الدقيق، وإلى «مسيرة الجزائر»، يقول الشاعر[1]:

الحلم:

مسيرة مظفرة،

للثورة الموقرة،

قد بدأت منذ القدم،

طريقها دمع ودم،

رفعت يوما قلما،

ولوحة،وعلما ،

رسمت فيها قلما ،

ونجمة ، وحلما ...

الطفولة الباسمة البريئة:[2]

كنا صغارا لا نرى شرا ولا نسمة ،

ولا نهاب ما جرى ،

1 – المصدر السابق، ص 123

2 – المصدر السابق، ص 124

و ما طرا وما اعترى ،

ونقرأ القران في الألواح...

أيتها الأمال يا نور السما

هل أنت تحملين للشعب خبر؟

وهل أطل البدر خلف الجبل ؟

ينير للمدلج كل السبل ...

كل جزائري يتمنى أن يدور الزمان، وترجع أيام الطفولة، لأن الطفل البريء لا يأبه بما يجري حوله، يفرح ويمرح حتى ولو رأى المجتمع يكوى ويجرح ولا يتحمل المسؤولية، يقضي أيامه كلها لعبا ومرحا ثم يتحدث الشاعر عن الفتية وهم في المسجد ، يقرؤون القران في اللوح ويع اتبونه بالصمغ وبقلم مصنوع من القصب، وهذا يكون قبل طلوع الشمس من أجل حفظ كلام الله عز وجل ، فالطفولة ابتسامة بريئة.

الجهاد:[1]

اجتاز شعبي منذ تلك الحقب

مراحل الجهاد والكفاح ...

وقاوم المستعمرين،

والظالمين والمعتدين ،

1 – المصدر نفسه، ص 125

لولا هداية من الرحمان ،

وبينات من هدي القرآن ،

ووقفات من بني أوطان،

لما استطاع الشعب أن يبقى هنا،

وأثبت الوجود للجزائر ،

وملأ التاريخ بالمفاخر ،

ومن الطفولة إلى الشباب وإلى التفكير في الحياة، ومادامت الجزائر تعيش الحروب والويلات لابد من الجهاد وحمل السلاح، فلقد تصدى الشعب للعدو بالمرصاد، بعد التوفيق والرشاد من قبل رب العباد، فالجزائريون تمسكوا بدينهم وحافظوا على مقدساتهم ومقوماتهم فثبتهم الله ولم يبدهم كما أباد الوندال والروم والفنيقيين وأهلكَ عاداً وثمود وفرعون.

ثم يخاطب الشاعر العدو الفرنسي ويعاتبه لأنه سفك الدّماء ونثر الأشلاء من أجل قطعة أرضٍ، ولكن لهذا الوطن حماة يثورون ويدافعون عنه رجلاً وحرائرَ، شيوخا وأطفالاً، بالسلاح والقلم، بالمال والنفس، بكل ما أوتوا من قوة، ويبقى الأمل في النبات والحيوان والأطفال والشيوخ والبنات والبنين.....

كل مناطق الوطن شاهدة على الثورة، من أجل تحرير الوطن وإخماد نار الفتن، بحثاً عن العدل ودحضا للباطل وتحقيقا للنصر الذي وعدنا الله عزَّ وجلّ به لأنّ وعد الله لا يُخلف.

الثورات والمقاومة:[1]

1 – بوابان النور، ص 128

مسيرة تخللتها الثورات ،

منذ القدم ،

يا روعة الشعب اذا الشعب مشى ،

يحمل رايات النضال ،

شعب الجظائر كريم ،

ما كان يوما ظالما ،

ولا تعدى أبدا على أحد ،

ومن الجهاد إلى الثورات والمقاومة إذ كانت الثورات متعددة والمقاومة واحدة وإن اتحدت جميعها في مجابهة عدو واحد ألا وهو المحتل الغاشم.

فللجزائر قاومت الظلم منذ القديم، وشعبها يأ بي الضَّيم، لا يرضخ ولا يستكين، شعب سخي كريم، وفيٌّ مخلص، صادق أمين، إذا هُوجِم دافع عن أرضه وعرضه، وإن ظلم استرجع حقه بيده، متوكل على خالقه وسيده في صنع عزه ومجده ، ربط حاضره بماضيه ودافع عن مقدساته وارثه ليبني مستقبله، وهذا لن يكون إلا بالثورة تجاه الظلم والمعتدين .

نوفمبر 1954 م :[1]

ان أحد على أراضيها اعتدى ،

اذن هو البركان يرمي لهبا

شعب يشيد المعجزات ،

1 – المصدر السابق، ص 130

في كل قرن ، وبكل جيل ،

لاسيما في جيل تلك الثورة ،

سبحان من جعل من نهاية بداية ،

ما كان عيدا للمات عندهم ،

أصبح عيدا للحياة عندنا

سبحان من أخرج من ظلامهم نورا لنا ،

والفضل بعد الله في تلك الحروب للشهيد

وللمجاهد الذي برهن عن بأس شديد ،

وخرج الشعب جميعا يحمل الرايات ،

قد نسجتها الأمهات ،

فيا لها من فرحة كبرى ومن نصر مبين

وشرع الشعب يشيد المعجزات ...

مستأنفا مسيرة البناء والتشييد ،

وهو الجهاد الأكبر ،

بعد الجهاد الأصغر ،

وإلى 01 نوفمبر 1954 م:

بهذه الثورة صنع الشعب الجزائري المعجزات، ونوفمبر زرع فيهم الحياة، فقد كانوا يتشاءمون به، ولكنه أصبح بالنسبة إليهم شهر الأمل والبركات ، فسبحان الذي جعل النصر المبين في هذا الشهر العظيم على يد شهداء ومجاهدين مستسلمين، وإذا بالشعب يشكر رب العالمين على العطاء الجزيل والمدد الوفير بالتكبير والتهليل، بعد الأسى والجراح وما خلفه المستدمر السفاح من تيتم للأبناء وترمل للنساء وحرق للمزارع والأكواخ، فقد عبر الشعب عن حريته وفرحته وخرج بالرايات والأعلام يجوب المناطق والبلدان في ظلام الليل الحالك.

الثورة الصناعية:[1]

يا ألف معمل ومعملا بدا

دخانها يعلو من المداخن ،

يسيل فيها النفط والغاز العتيد ،

يقصد تلك الأنجما

كأنه يريد أن ينشدها

قصيدة تنبىء عن مسيرة مظفرة ،

للثورة الموقرة ،

يا أرض قد سقاك مليون شهيد

ونصف مليون شهيدا أو يزيدا ...

وبعد الحصول على الاستقلال والحرية لابد من التشييد والبناء، نبدأ بالثورة الصناعية:

1 – المصدر السابق، ص 132

فالمصانع فتحت أبوابها حتى على دخانها، تصنع وتشيد وهذا بفضل الله الذي سخر كل شيء للإنسان، سخر له الحيوان والنبات والجماد، وجعل للبشرية علماء يعلمونهم شؤون الحياة ويرشدونهم إلى الصواب ويبعدونهم عن الزيع والضلال.

الثورة الزراعية:[1]

يا ألف قرية وقرية علا

بنيانها بين الحقول المناضره ،

بياضه كأنه نور جلا ،

مظاهر البؤس عن الفلاح ،

آيات رب العالمين ،

تهدي العقول الحائرة ،

فينبع القرآن من كل الصدور ،

ويخرج الجرار يحمل البذور ،

يزرعها فوق السهول والرُّبى.

إنّ الإنسان لا يحيا إلا بالغذاء، وهذا ما يحتاج إلى ثورة زراعية:

فالقرى قد سخرت بساتينها للزراعة والفلاحة، ودعاء الشهداء مقت الأرض فأخصبت زهراً ووروداً وأسرع الفلاحون إلى استخدام الآلات والمحراث لزرع الأرض وتعميرها، يشتغلون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وبعضهم يسوق الأغنام إلى المراعي لتقتات تأكل

1 المصدر السابق، ص 134

العشب والطيور المغردة تزين المكان، وخرير المياه والفراشا ت الجميلة، والعائلة كلها تشتغل في الحقول متعاونة فيما بينها لإنتاج قوتها ورزقها ولا تتكل على غيرها.

الثورة الثقافية:[1]

ويخرج الأولاد في كل صباح

ليحفظوا القرآن في الألواح .

أقلامهم صريرها يخترق الافاق ...

ويخرق الجهل ويمحو الشعوذه

ويصل المخلوق بالخلاق

أكرم بها مسيرة سلمية

نحو الرقي والسلام ،

في ساحة الحرية ،

وهكذا تبقى لنل مفخرة ،

ومعقل التحرير للأبطال ...

فكل من أراد تحطيم القيود ،

فلا يعود ...

الى ركود أو سجود ...

سوى لرب العالمين

1 – المصدر السابق، ص 137

والإنسان الواعي لا يكـتفي بالـزراعة والصناعة فحسب، بل يحتاج أيضاً إلى الثـقافـة.

فالبداية تكون في الزوايا والكتاتيب لتحفيظ القرءان الكريم وسنة نبينا الكريم، ومنها إلى المدرسة لتعلم الفصحى، لغة الضاد، وآداب العرب القدمى وتاريخ أمم الغابرة وأخذ العبرة منها، فبذلك تبنى الجمهورية الجديدة القائمة على العدل والشورى التي تحترم الإنسانية وترقى بيها على مصاف الدول المتطورة، وتصبح مثالاً لا يحتذي به.

قف وتذكر:[1]

بوركت يا مسيرة الجزائر

فقد جعلت موطني كقبلة للزائر

كأنه يقصد حين يقصد ،

مكة أو قبر النبي محمد

قف يا أخي مسبحا

بحمد رب العالمين ،

وبعد كل هذا يدعونا الشاعر لان نقف ونتذكر، نتذكر بأن الجزائر كانت وما تزال قبلة الثوار، فيها الأوراس الذي اعتبر همزة وصل بين الماضي والحاضر، ولنتذكر المقابر والسجون والمساجد والدور التي صنعت الرجال الأبطال والصناديد الشجعان.

قف وسل:[2]

قف يا أخي وسل بها الجهادا ،

1 – بوابات النور(المصدر السابق)، ص 140

2 – المصدر نفسه، ص 142

والحيوان الخرص والعبادا ،

سل النبات ،

سل الرماح ،

ينبئك كل كائن عن ثورة وثائر

ينبئك عن مسيرة الجزائر

تقود شعبا كاملا إلى السلام

إلى حياة الجد والصرامة ،

إلى حياة المجد والخلود ..

ثم نقف ونسأل، نسأل المكان والزمان، النبات والحيوان، الرياح والأمطار، الأنهار والوديان المساجد والديار، لحن ثورة الأبطال والفرسان التي وحدت بين الإنسان ولم تفرق بينهم في الأعمار والألوان، قاموا ووحدوا صفوفهم يجمعهم الدين واحد ولسان واحد تحت وطن واحد وبهذا ضربت الجزائر أروع الأمثال في التحدي والصمود لكل الأجيال ولن ينسى أحد ما قدمته عبر العصور والأزمان، وجبهة التحرير تواصل المسير وتجعل من العسير يسيراً.

مضرب الأمثال:[1]

مسيرة الجزائر

سوف تكون مضرب الأمثال ،

لجيلنا وبعد للأجيال

1 – المصدر السابق، ص 143

وسوف يبقى ذكرها إلى الأبد

فلا يغيب أبدا على أحد

يا جبهة التحرير أعطيناك عهدا صادقا

مذ قد عقدنا العزم في النشيد يوما سابقا

بأن نسير دائما إلى الأمام

رغم جحافل الظلام

إلى الحياة والكفاح

دعاء:[1]

رحمتك اللهم للمستشهدين

وعونك اللهم للمناضلين

واجعل بنينا خلفا خير خلف

لمن مضى وهم لنا خير سلف

واجعل بناتنا نجوما لامعات

وأمهات صالحات طاهرات

بجاه من شد الرمال راكبا متن البراق ...

آله وصحبه والتابعين من رفاق

والمجد والخلود للشهيد ...

1 – المصدر نفسه، ص 145

بكل موسم وكل عيدا

يعلو برفع ذكرهم نشيدي

استمرار المسيرة:[1]

مسيرة مظفرة ،

للثورة الموقرة ،

قد بدأت منذ القدم ،

طريقها دمع ودم ،

ونورها منبلج ،

وحبها مختلج ،

في كبدي ...

عروقه تأصلت ،

من قبل أن أخرج يوم مولدي

إلى الحياة والكفاح ...

وفي الأخير نترحم على شهدائنا الأبرار الذين حرروا الوطن من كيد الفجار، وندعوا الله عز وجل أن يوفق المناضلين والمجاهدين لكل خير ويجعلهم خير خلف لخير سلف، وأن يحفظ بنات المسلمين ويصون أعراضهن ويجعلهن صالحات يربِّين الأجيال بجاه الحبيب المصطفى ﷺ.

1 – بوابات النور(المصدر السابق)، ص 146

وبعد هذا النضال الطويل لابد من الاستقلال، وهذه قصيدة بعنوان " نشيد الاستقلال" يقول فيها الشاعر[1]:

تاريخ أمتنا جهاد منذ عبد القادر
فترددت أصداؤه من كل شبل زائر
صوت الجزائر قد علا من كل شبر ثائر
وسط البلاد كغربها وكشرقها المتظافر
يا أطلس الصحراء دمت لأطلس التل الأشم
أخوين بينهما الهضاب معاقلا لا تستسلم
رفرف على ربوات أراضي يا علم
و اكتب على صفحات عرضي يا قلم
إن البلاد اليوم تمرح في نعم
من بعد قرن كله ألم ودم
شكراً لمن صعدوا إلى تلك القمم
واسترجعوا الوطن المغدى والعلم
يا شهر يوليو قد خرجت من العدم
منذ صرت عيداً للجزائر تحترم
أحياك شهر نوفمبر منذ القدم
ورعاك رب العالمين من الظلم
فافرح بعيد النصر يا شعب الهمم

وانهض لتشييد البلاد ولا تنم
يأيها التاريخ قم مثلي هنا واذكر معي
شهدائنا الأبرار واذرف بالمقابر واخشع
فالفضل يرجع بعد ربي للشهيد الأروع

1- المصدر السابق ، ص 149

ولـــمن تـــبـــرع بـــــالـــــنـفيـس مضحيا بالأضلـع
شـــكرا لـــــمـن ضـــحى وجـــاهـد في المعارك واعتـزم
لنـعـيش أحـــراراً هـــنا بـين الـــعشـــائـــر والأمـــم
يـــا أيـــها الـــمستـقبـــل الـميـــمون كـــن لـــجـزائـري
مـــستـقبـل الأجـــيـــال يـــرقـــبـهـم بـوجـه نـاضـــر
فـــكـــن الـضّمـيـن لـــهم إلـــــهي والـــمـقيـل لعاثـر
ســرنـا عـــلـى درب الـــخلـــود، فـــكـــن رفـيـق السّائـــر
قـــم لـــلـنشـيد مـعي وخـلد شـهـــر يوليو بـــالـنـعـم
وارفـــــع لـــواء الـــمجـد فـــي ذكـــرى الـــبطـولـة والشّيم

وتحيا الجـزائر ويحيا شعبها حراً مستقلاً ينشد نشيـد الاستقلال في كل ربـوع الوطـن، شمـالاً وجنوباً، غرباً وشرقاً، ويرفرف العلم الجزائري بعد قرن من الزمن، ويحيا شهداء الوطن.

فيـا شهر جويلية قد أصبحت رمزاً خالداً في وجدان الجزائريين كشهر نوفمبر العظيم.

فلتفرحي ياجزائر بهذا النصر العظيم والانجاز الكبير ولتهبي للبناء والتعمير، وتحدثي العالم عن قصة الشجعان وقصة الأوراس وجرجرة، قصة المليون ونصف مليون شهيد الذين سقوا الأرض بدمائهم الفوّارة.

فألف شكر وتحية لهم لما قدموه من أجل هذا الوطن، والفضل يرجع إليهم بعد الله عز وجل في تحرير البلد.

ثم نحي جبهة التحرير الوطني لما قدمته من أجل الوطن وعن قصيدة بعنوان «نشيد جبهة التحرير الوطني»يقول الشاعر[1]:

يـــا جبهـــة ألـــفـــت مـــا بـــيـن العشـــــائـر فـــي الـــوطـــن

1- المصدر السابق، ص 159

وجمعت شملاً مزقته يد المصائب والفتن
رفعت لواءك في الجبال الشامخات يد القدر
و تغنت الأبطال منها بالجهاد المنتظر
يا جبهة أنقذت شعبا كاد يطويه العدم
أحببتيه في غرة كانت لهم عيد الممات
فإذا بهم قد أصبحت لبني الحمى عيد الحياة
قسما برب العالمين وبالكتاب المنزل
وبسيد الكونين أحمد في الزّمان الأوّل
قمنا لتحرير البلاد من العدو الغاضب
ومن المكائد والدسائسو الدخيل الناصب
الله رب واحد والشعب شعب واحد
و الجيش جيش واحد والحزب حزب واحد
و أمانة الشهداء وماسكبوه من طهر الدما...
والضاد والاسلام والتاريخ أركان الحمى
و أمانة الشهداء وماسكبوه من طهر الدما...
والله يشهد والرسول ومؤمنون بجبهة
كانت ومازالت منارة شعبنا في ظلمه!
سيرى موفقة لنصر بعد نصر خالد
يا جبهة التحرير وافتخري بشعب ماجد!!

وهكذا في آخر المسيرة نحي جبهة التحرير الوطني ألفت بين أبناء الوطن وجمعت ما مزقه المستعمر ورفعت العلم الجزائري وأنقذت الشعب من براثن المحتل وكيد الظالم، حاربت في الجبال والهضاب وفي السجون والدور، في الزوايا والكتاتيب، وكل هذا في سبيل الله والوطن، ومهدت السبل للأجيال القادمة وبنت المجد حتى أزفت ووصلت إلى مبتغاها . ورفعت لواءها وخلدت ذكر أبطالها وقدست عظماءها.

فالمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

وتحيا الجزائر حرة مستقلة تمحو الذل والشنار.

وللتشييد والبناء لا بد من الحرص على فئة الشباب فهي القلب النابض للأمة، وحيث يقول الشاعر في قصيدة بعنوان «منظر الشبيبة»[1]

ذكرا تمثل للشبيبة منظرا أبهى المناظر في الحياة وأنضرا
لولا الشبيبة في الحياة لأظلمت و تحطمت أزهار آمال الورى
إن الشبيبة بلسم لجراحنا تجلو الهموم إذا الزمان تكدرا
يأيها النشئ الطموح إلى العلا أقدم على نيل العلوم غضنفرا
وانظر إلى الجوزاء علك ترتقي وتعود منها بالنجاح مظفرا
الشعب منتظر لسعيك فانتهز فرص الشبيبة قبل أن تتقهقرا
والضاد محتقاج لجدّك فاجتهد لتعيده أبهى اللغات وأبهرا
والدين مشتاق إلى الزمن الذي قد كان فيه على الرذائل مشهرا
فانهض عساك ترد مجدا فاخرا وتشيد آخر للجزائر أفخرا

فالشاعر يفتخر بفئة الشباب باعتبارها أرقى مرحلة في حياة الإنسان هي التي تبعث على النور والجد والعطاء، وهي التي تعالج الهموم وتضمد الجراح، ولولاها لعاشت الإنسانية ظلاما دامساً ثم ينادي هذه الفئة ويدعوها إلى العلو والسوء وذلك بالعلم والبحث الدءوب؛ لأن الأمة كلها بانتظار إبداعاتهم وعطائهم .

ثم الحفاظ على لغتهم وتطويرها لأنها لغة معطاءة، ثم أن الدين متلهف لعودة أيام الصفا ليرفع سيفه ويشهره ضد الكفر فهيا يا شباب لتعيدوا مجد الأوطان وتحرروه من كيد الطغيان.

قصيدة بعنوان «على قبر ابن باديس» يقول الشاعر[2]:

خبروني من الذي قاد شعري نحو لحد هناك بين اللحود

1- المصدر السابق، ص 171.

2- المصدر السابق ، ص 233

لست أدري رحماكم خبروني أشعوري أم روح عبد الحميد
جئت أبكي مع الجزائر يالحد بكاء على تراث الجدود
قيدوني وأرهقوني صعوداً و دمي أهدروه فوق صعودي
حطموا زهري وداسوا عفافي و أروني يالحد غير كسر القيود
ليت شعري متى يزول عذابي و متى يستحيل عهد الحديد
هذه صرختي وتلك دموعي أوما ذبت من بكائي المديد
رب إن لم يكن من القيد بد فهو مر على الأباة الصيد
فحنانا على الجزائر والدين حنانا على تراث الجدود

ففي هذه القصيدة يبكي الشيخ عبد الحميد بن باديس، هذه الشخصية الجزائرية التي جمعت بين حب الوطن والثورة على الظلم والظالمين والجزائر كلها تبكيه، لأن المستدمر قيده وأهدره دمه أذاقه ألوان الإعدام فأصبح الحبيس القيود حتى فارق الحياة، فهذه الشخصية تستحق الفخر والتقدير والاعتزاز لأنها قدمت أغلى ما تملك من أجل هذا الوطن العزيز ومن أجل الدين الإسلامي القويم.

و حينما تجاذب الجزائريين اليأس والأمل، قال الشاعر قصيدته المعنونة بـ « بين اليأس والأمل»[1]:

ما لهذا العذاب والقلب دام يا شعوري دعني إلى أحلامي
أنا حيران بين اليأس وآمال و لكنه وراء اللثام
إن هذي الحياة أمر غريب ليس فيها ما يرتجيه مرامي
ضحكت من بكائها واستمرت في دلال والناس قرب الحمام
رب إن الإنسان عبد ضعيف و المقادير حوله في اصطدام
لست أهذي سبحان ربي ولكني أبكي من هذه الآلام
أين تلك الآمال ؟ أين الأماني يا ترى أصبحت بين الأوهام
أم ترى اغتالها الزمان انتقاما؟ يا ومانا بالغت في الانتقام

1- المصدر نفسه، ص289

إن قلب العباد في هذه الدنيا برئ من بؤرة الآثام
كم شكونا وكم بكينا ولكن لم يجبنا سوى صدى الألغام
رب أين المفر والدهر والأعداء عون على الأهالي الكرام
أين شيء رب نفعله اليوم لنحظى بعيشة في سلام
يا بلادي لم يبق إلا جهاد في سبيل التحرير والإسلام
إن قضى الله بالممات فقد قمنا قيام الرجال أي قيام
إنا الموت في الجهاد خلود فعلام الحياة مثل السوام
عيش عزيز أو مت شهيداً عظيماً إنما المجد للأباة العظام
يا إلهي عطفاً على من يعاني ما يعاني من وطأة الآلام
إن في القلب يا إلهي شعاعاً فحناناً على الشعاع النامي
فارحم القلب وارحم الروح يا رحمان واحفظهما من الأسقام
ذكريات مضت فخلد صداها يا شعوري على مدى الأيام
وابتسم لي إن ابتسامك يشفيني من الواحد والأسى والسقام
وتقبل تحيتي وسلامي وختام السلام مسك الختام

فالشاعر يتحدث عن حال الجزائريين وقد انتابهم اليأس، فمن يسير لهم الظلام ويميط عنهم اللثام، فالحق أصبح مختلفا وراء الحجب، وعلا الباطل في هذا الزمان، والحياة عجيبة قد غابت عنها الابتسامة والحنان وكثرت القسوة والملام، وانتشر المكر والظلام؛ فيا رب ارحم ضعفنا ولُمَّ شملنا لان العدو فرّقنا، حتى تلاشت الأمنيات وصارت أوهاماً.

وماذا نفعل يا رب لننعم بالسلام والوئام، ونمحو الظلم والطغيان؟ فيا جزائر لم يبق إلا الوثوب والتحدي والكفاح لننال النصر والنجاح والشهامة، ولْنَجُدْ بأنفسنا وأموالنا وبأقلامنا وسيوفنا في سبيل ربنا ووطننا غير مبالين بأعدائنا.

وهذه هي الحياة تغر الإنسان بملذاتها وشهواتها فلذا لا يجوز للعاقل أن يسير وراءها حتى لا يقع في شباكها، وقد جاءت هذه الحقيقة مؤكدة ثابتة في القرآن الكريم، يقول الله عز وجل : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»[1]

وكما يقول الشاعر في وصف الدنيا[2]:

إن أقبلت باض الحمام على الوتد أو أدبرت بال الحمار على الأسد

وفي الأخير يدعو الشاعر الله عز وجل أن يعين كل من يشكو من الظلم ويكسر شوكة الظالمين والأعداء.

و إلى قصيدة بعنوان « حيرة شاعر» يقول فيها الشاعر[3]:

يا قوم لا تسخروا من ذلك الصدى المتعالي
قفوا هناك طويلا لا تسرعوا للرحال
مالي أرى الظلم يطغى و يحي بكل مجال
يا هيأة تركتنا مع الورى في ملال
قد أصبح الكون يخشى قرب الفنا والزوال
مذ حل بالأرض هول قد فاق هول النضال
ردي السلام إلينا ردي حقوق الأهالي
يا قوم هبوا أسودا لنيل تلك المعالي
قوموا جميعاً كفره ضد الأذى والنكال
هيا بنا للمعالي هيا بنا للنضال
أو نرفع النجل رفعاً فوق النجوم العوالي
أقوموا للنصر الهلال ونجمه المتلالي

1- سورة آل عمران، الآية 185

2- متعة الحديث، عبد الله بن الداوود، دار الرشاد للنشر والتوزيع ، الخروب ، قسنطينة،2008،ص 50

3 - بوابات النور، ص299

ولا تخافوا انهزاما فالحرب ذات سجال
ما نحن إلا رجال نهوى حياة الرجال

فالشاعر يدعوا قومه بأن يتأملوا في جمال وروعة بلدهم الجزائر وأن لا يستسلموا للمستدمر، ففيها سحر ودور وخضرة وبياض والإنسان قد مل الظلم والاستبداد، وحتى الأرض أصبحت تخاف على نفسها من الزوال والدمار.

فلنسع جاهدين نحو السلام وإعادة حقوق الإنسان، ثم ينادي قومه بأن يسمعوا مقاله ويلبوا دعوته لأنه غيور على هذا الوطن، وقد أخلص النية لله عز وجل وتمسك بدينه وأحب رسوله وشعبه ووطنه، فل يهنأ له بال ولن يطيب له عيش والشعب الجزائري رهين الأحزان، يعيش في الغم والهم والحيرة والأسى .

فيا رب ألطف بشعبنا أعنه على أخراج الظالمين من أرضنا وهذا لن يكون إلا بتكاتف جهود الجزائريين، بالنضال والعزيمة والإرادة والتضحية حتى يحققوا السيادة، ويرفعوا الراية ترفرف في ربوع الوطن الغالي، لأن الجزائر لم تنجب إلا الرجال الأشاوس.

خـــاتمة

بعد هذا الجهد الذي منَّ الله عز وجل علينا به خلصنا إلى عدة نتائج نجملها في الآتي:

1. تميّز شعراء الجزائر بروحٍ وطنية جعلتهم يخدمون وطنهم، ويدافعون عنه بأقلامهم، وبكل ما أتيح لهم من القِوى
2. كل تعريفات الوطن تصب في قالَب واحد، وهو أنه:" منزل الإقامة، كما أنها تجمع بين ثلاثة أشياء، هي الإنسان، والزمان، والمكان.
3. الوطن فيه معنى الثبات، أمَّـا الثورة ففيها معنى استثنائي تحتّمه ظروف الاحتلال أو الظلم(كالثورة على العدو، الرئيس أو الحاكم الجائر...)
4. الشعر عند عبد القادر بن القاضي مهمة راقية تحتاج إلى الصبر والإتقان وبذل الجهد تجاه الوطن، وليس فقط كلاماً نتغنى به.
5. الشاعر صاحب رسالة، فكل همّه بعث الروح الوطنية وتقوية النزعة الثورية، ومن ثمة الحصول على الإِستقلال والحرية.
6. تجربة الشاعر هي تجربة عمل فعلي سياسي عسكري أملت عليه قريحته التغني بها.
7. إيمانه الكبير بقضايا أمته، مما جعل عاطفة الوفاء للوطن تتجسد عنده بصورة جلية.
8. ديوانه مليءٌ بالنبرة الإصلاحية الخطابية كونه رجل إصلاح وتربية.
9. لِاختيار الموسيقي والإيقاع جانب أسلوبي رائع خدم القصيدة الوطنية عند الشاعر.

10. الشاعر صاحب نزعة إنسانية، وهي الإباء وعدم الرضوخ والإستكانة، والسعي وراء الحرية والإنتصار.

11. الإحتلال وسياسة الظلم والغربة ومنع الحريات كلها دافع للشعر الوطني الثوري.

12. يعتبر باب الوطن في ديوان الشاعر من أطول الأبواب، وهذا ما يُنمُّ عن وطنيته الصادقة وتمسُّكه بأرضه.

13. وفاء الشاعر للغة العربية جعله يتمسّك بها ويدعو أبناء الأمة للمحافظة عليها من التحريف والزيغ.

14. إيمان الشاعر بأنَّ مجد الوطن لن يصنعه إلاَّ أبناؤه الصادقون فلذا بدا مناضلاً سخّر شعره من أجل دعم الثورة التحريرية.

15. دائرة الوطنية عند الشاعر لم تتوقف عند الحدود الجزائر، بل تعدّت إلى الوطن العربي، لأنّ الوطني الحق الذي يهتم بقضايا العروبة ويتمسك بالنخوة العربية ويدعو إلى تلاحم الصّف العربي.

قائمة المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم** بـروايـــة ورش عــن نـــافـــع
2. **الاتجاهات الوطنية الشعر الليبي:** محمد صادق عفيفي، دار الكشاف للنشر والتوزيع، بيروت، القاهرة، بغداد، 1996
3. **اتحاد الكتاب الجزائريين، الأدباء الشهداء،** وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، منشورات المتحف الوطني للمجاهد
4. **أساس البلاغة: الزمخشري،** دار الكتب المصرية، القاهرة، 1341، ج 02
5. **أصوات من الزمن الجديد (دراسات في الأدب المعاصر):** عبد العزيز مقالح، دار العودة، بيروت، ط 01، 1980.
6. **أطلس المعجزات:** صالح خزفي، الشركة الوطنية للشر والتوزيع، الجزائر، ط 02، 1982
7. **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة:** محمّد بسكر، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة– الجزائر، ط 02،ج 01، 2015
8. **أغنيات نضالية (شعرية):** محمد الصالح باوية، موفم للنشر– الجزائر، 2008م
9. إلى هؤلاء الذين أناروا لي عبقرية لسان العرب: علي بن فليس، دار هومه، الجزائر، ط 02، 2014
10. **بوابات النور لإبن القاضي (دراسة في الموضوعات والخصائص)،** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، من إعداد: صباح لعقون، إشراف: د. عيسى مدور، جامعة العقيد الحاج لخضر– باتنة، الموسم الجامعي: 2012/2011م
11. **بوابات النور:** عبد القادر بن محمد بن القاضي، المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر، 1990
12. **بوابات النور:** عبد القادر محمد بن القاضي، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف – الجزائر، 1990.
13. **تاريخ الجزائر الثقافي:** أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 01، 2007م، ج 10،
14. **تاريخ الجزائر الثقافي:** أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامية، لبنان، ط 01، 2007م، ج 10

15. **تجليات الحس الوطني في الشعر الشعبي منطقة بوسعادة أنموذجاً:** عبد الله دحية، أطروحة لنيل شهادة الماجستير

16. **تشكلات الشعر الجزائري الحديث من الثورة إلى ما بعد الإستقلال:** الطاهر يحياوي، دار الأوطان، ط 01، 2011م

17. **حكايا القلب والوطن (شعر):** جهاد الجزائري، المؤسسة الصّحفية بالمسيلة، الجزائر، ط 01، 1430هـ - 2009م

18. **حوار حول الثورة:** الجنيدي خليفة، الفكر والإشراف العام: عبد القادر نور، الجزء الأول، موفم للنشر- الجزائر، 2009م

19. **دائرة معارف القرن العشرين:** محمد فريد وجدي، دار المعرفة- بيروت، م 07، ط 03، 1971.

20. **ديوان أبي اليقظان:** أبو اليقظان إبراهيم، الجزائر، المطبعة العربية، ط 01، 1930

21. **ديوان أغنيات الورد والنار:** مصطفى محمد الغماري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م

22. **ديوان الأديب موسى الأحمدي نويوات** : موسى الأحمدي نويوات، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1430هـ - 2009م

23. **ديوان الترايح وأغاني الخيام:** أحد الطيب معاش، موفم للنشر- الجزائر، 2010م

24. **ديوان الشهيد الرّبيع بوشامة:** جمع وتقديم جمال قنان، دار هومه- الجزائر، 2010م

25. **ديوان الشيخ الشبوكي:** محمد الشبوكي، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2010م

26. **ديوان صوت الجزائر:** محمد بوزيدي، دار الكتاب العربي، القبة- الجزائر، ط 01، 2011م

27. **ديوان محمد بلقاسم خمّار:** محمّد بلقاسم خمّار، دار أطفالنا للنشر، ج 01

28. **ديوان همسات وصرخات:** محمد الأخضر السَّائحي، موفم للنشر– الجزائر، 2010م

29. رمضان محمود: صالح خرفي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985

30. **رواية الدروب الوعرة:** مولود فرعون، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 5، 1990

31. **الزمن الأخضر (ديوان سعد الله):** أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة – الجزائر، ط 03، 2010م

32. **الزمن الأخضر (ديوان سعد الله):** أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة – الجزائر، ط 03، 2010م

33. **سنن النسائي:** أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي النسائي، بيت الأفكار الدولية، ط 2004، كتاب مناسك الحج/ إنشاد الشعر في الحرم والمشي بين يدي الإمام

34. **السيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945**، منشورات دحلب، الجزائر، (د.ت)

35. **شعاع الأصيل (شعر قصائد مرتبة ترتيبا زمنيا) 1990– 1999:** عبد القادر بن محمد بن القاضي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار– وحدة الرويبة، 2000م

36. **الشعر العربي أوزانه وقوافيه:** عبد القار بن محمد، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م

37. **الشعر الوطني الجزائري:** أحمد شرفي الرّفاعي، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، 2010

38. **الشعر الوطني الجزائري:** أحمد شرفي الرفاعي، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، ط 2010

39. **شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:** محمد زغينة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة ، 2005/2004

40. **الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربية:** إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط 01، 1376هـ – 1979م، بيروت،

41. **الصحاح في اللغة والعلوم:** الجوهري، تقديم: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ط 01، 1074

42. **الصِّحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهري،** تقديم: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي – أساممرعشلي، دار الحضارة العربية – بيروت، م 02، (ض. ي)، ط 01، 1974.

43. **عندما يمضي الكبار في صمت ووقار، لا يبقى إلاّ العار ملازماً لأهل العار:** علي بن محمد، الجزائر، مايو 2010م، (مقال).

44. **العين:** الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتاب العلمية، بيروت، م 03، ط 01، 2003.

45. **غربة الإسلام:** ابن رجب الحنبلي، تحقيق أحمد الشرباطي، دار الكتاب العربي، ط01، 1954.

46. **الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة:** أمين صالح محمود العمصي، منشورات جامعة قان يونس – بتغازي، ط 01، 1995.

47. **في الأدب الجزائري الحديث:** أحمد دوغان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996م

48. في اللسانيات التداولية، مقاربة بين التداولية والشعر(دراسة تطبيقية): خليفة بوجادي، بيت الحكمة، ط 01، 2012م،

49. **القصة الجزائرية المعاصرة:** عبد المالك مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب،د. ط، 1990

50. **لسان العرب:** ابن منظور، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط 01، 1427هـ – 2006م، ج 02

51. **اللهب المقدس:** شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، موفم للنشر، الجزائر، 2003م

52. **متعة الحديث،** عبد الله بن الداوود، دار الرشاد للنشر و التوزيع ، الخروب ، قسنطينة،2008

53. **المعجم الأدبي:** جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط 02، 1984.

54. **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:** مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، (د.ت)

55. **معجم مقاييس اللغة:** أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 01، 1411هـ – 1991م

56. **منطلقات فكرية:** أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 02، 1982،

57. **مهمّة الشاعر في الحياة:** سيّد قطب، بيروت، دار الشروق، (د.ط)

58. **موسوعة الشعر الجزائري:** إنجاز: الربعي بن سلامة ومحمد العيد تاورتة وعمار ويس وعزيز العكايشي، دار الهدى– عين مليلة– الجزائر، ط 2009م

59. **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين (من حرف الدّال إلى حرف الياء):** إعداد مجموعة من الأساتذة، تقديم: محمد الأمين بلغيت، إشراف: رابح خدوسي، منشورات الحضارة– الجزائر، ط 2014م، ج 2

60. **موسوعة العلوم الاجتماعية،** تحرير: ميشل مان، نقلها إلى العربية: عادل مختار الهواري و سعد مصلوح، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999

61. **موسوعة الفكر الأدبي:** نبيل راغب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 2000

62. الموقع الالكتروني: !?www.jawhara-soft.com/vb/showread.php، محرك البحث: google، يوم الأحد: 2015/08/09م الموافق لـ: 24 شوال 1436هـ، في الساعة: 09:30.

63. الموقع الإلكتروني: www.karrana.net/forum/archives21542-htm، يوم الأحد: 2015/08/09، في الساعة: 12:00 صباحاً، محرك البحث Google

64. **الموقع الإلكتروني:** www.nethnabgedu.gov.sa، محرك البحث: googl، يوم 2013/04/03، في الساعة: 11:00 صباحا.

65. الموقع الإلكتروني: www.startimes.com/f.aspsc، يوم: 2015/09/10، في الساعة: 11:30صباحاً، محرك البحث Google

66. الموقع الإلكتروني: wwwdjelha.inf.com، يوم: الأحد 2015/08/09، في الساعة: 12:00 صباحاُ، محرك البحث Google

67. موقع الكلام من النفوس، الشهاب: محمد البشير العلوي، ج 10، م08، أكتوبر 1932

68. **نجمة واحدة ووطن واحد:** محمد قاري، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، 2007م

69. **هذي الجزائر، تاريخ وثورة(شعر):** قيصر مصطفى، مؤسسة الأشراق للطباعة النشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط 01، 1433/2012هـ، الإشراف للكتاب العربي، الحراش – الجزائر

70. **الهوية الوطنية، الحقائق والمغالط:** أحمد بن نعمان، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ت

71. الوطن الجريح(شعر): أحمد بلقاضي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 01، 2009م،

72. **وقفة مع الشاعر محمد الشبوكي:** أحمد دوغان، جريدة الشعب، الجزائر، 26 أفريل 1983م

الفهـــرس

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة ..... **أ-ج**

الفصل الأول قراءة في المصطلحات **31-5**

أول : مفهوم الوطن والثورة لغة واصطلاحا..... **12-6**

ثانيا : الشعر الوطني والثوري وخصائصهما..... **22-12**

ثالثا :ترجمة الشاعر عبد القادر بن القاضي..... **32-22**

الفصل الثاني: الوطن والثورة وتجلياتهما في الشعر الجزائري..... **82-33**

أولا: الشعر الجزائري في عيون بعض الشعراء الجزائريين..... **35-33**

ثانيا: الغربة عند الشعراء الجزائريين تعريفها وأسبابها **46-36**

ثالثا : علاقة الشعراء الجزائريين بوطنهم وبالثورة الجزائرية..... **82-46**

الفصل الثالث: تجليات الوطن والثورة في شعر عبد القادر بن القاضي من خلال ديوانه بوابات النور

133-83.....

أولاً : دراسة الديوان شكلا..... **83**

ثانيا: دراسة الديوان مضمونا..... **94-84**

ثالثا: تجليات الوطن والثورة في شعر عبد القادر بن القاضي من خلال ديوانه " بوابات النور" **133-95**

خاتمة..... **136-135**

قائمة المصادر والمراجع **143-137**

فهرس الموضوعات **145**